آيات البركة في النظم القرآني

(دراسة بلاغية)

بحث مقدم من

الدكتور

معوض محمد علي الخولي

مدرس البلاغة والنقد

في جامعتي :

الأزهر (مصر)

الباحة (المملكة العربية السعودية)

٢٠١٧ م

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده

وأصلي وأسلم وأبارك على رحمة الله للعالمين : محمد بن عبد الله ﷺ، صلاة وسلاما وبركة أرجو بهما شفاعته وشربة هنيئة من يده الكريمة على حوضه المورود لا ظمأ بعدها أبدا.

وارض اللهم عن أزواجه، أمهات المؤمنين وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد،،،

فالبركة من أعظم ما يطلبه المسلم وينشده ؛ لأنها تعني وفرة الخير وكثرته ظاهرا وباطنا ؛ ولأنها إذا حلت في شئ أقامت ورسخت رسوخ الإبل وبروكها

ولا يقدر قادر ـ غير الله جل جلاله : منزل البركة ـ كائنا من كان أن ينزل البركة في شئ إذا تجاوزته إلى غيره؛ ولا أن ينزع بركة شيء إذا حلت فيه.

ولما كانت البركة مطلبا ومبتغى لكل بصير ؛ فقد تكاثرات الدعوة بها، خاصة في بيان النبوة ومنها :

١. قوله ﷺ (اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)[١].

(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وفِي يَمَنِنَا)[٢].

٣. (مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ)[٣] والشواهد في هذا الباب كثر وليست موضع حديثنا.

---

١) أبوداود . الجهاد . الابتكار في السفر ـ ، الترمذي : البيوع – ما جاء في التبكير في التجارة .

٢) البخاري . الفتن . باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق.

٣) الترمذي ـ الدعوات ـ باب ما يقول إذا أكل طعاما ـ ٥٠٦/٥ ـ حديث ٣٤٥٥.

وكثرت آيات البركة في النظم كثرة لا تخطئها عين، فبلغت ثنتين وثلاثين موضعا بتسع صيغ متنوعة؛ فجاءت فكرة هذا البحث: ﴿**آيات البركة في النظم القرآني ـــ دراسة بلاغية**﴾؛ كشفا عن مقاماتها ، ووقوفا على خصائص التعبير بها وسماته.

وقد انتظمت هذه الدراسة خمسة الدراسة خمسة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد.

وقد حرصت في دراسة شواهد هذه الدراسة على ضم النظير إلى النظير ورد الشبيه إلى الشبيه فجاءت المباحث على النحو التالي:

١. **المبحث الأول:** البركة وصفا للذات الإلهية
٢. **المبحث الثاني:** البركة في الحديث عن الأنبياء وأهلهم ومن آمن معهم.
٣. **المبحث الثالث:** البركة في الحديث عن القرآن.
٤. **المبحث الرابع:** البركة في الحديث عن السماء والأرض وما فيهما.
٥. **المبحث الخامس:** البركة وصفا للتحية.

ثم أردفتُ هذه المباحث بأهم نتائج الدراسة، وفهرسين : أحدهما للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات .

والله جل جلاله أرجو أن يكون هذا البحث قد بلغ مقصوده، وانتهي إلى ما كان يؤمله كاتبه.

فإن كان فلله الحمد والمنة أولا وآخرا؛ وإن لم يكن فمن عجزي وتقصيري؛ وأسأله تعالى العفو عما زلت به القدم وسال به القلم وألا يحرمني أجر من أجتهد فأخطأ.

إنه تعالى أكرم مأمول؛ وهو حسبنا ﴿**سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾ التوبة ٥٩.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: معوض محمد الخولي
مدرس البلاغة والنقد في جامعتي:
الأزهر ـ مصر
الباحة ـ المملكة العربية السعودية

تمهيد

دلالات البركة لغويًا:

تدور مادة (ب ـ ر ـ ك) ومشتقاتها حول العديد من المعاني منها:[١]

١- النماء والزيادة والكثرة في الخير، وذلك كقولهم : ابتركت السحابة إذا اشتد انهلالها ، وبه فسر السمين الحلبي البركة بقوله: (كثرة الخير والزيادة)[٢].

٢- ثبوت الخير الإلهي في الشيء، فإنه لما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس؛ وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر؛ قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة " هو مبارك وفيه بركة "[٣]؛ وذلك من (بروك البعير) إذا الصق صدره بالأرض فلا يستطيع أحد أن يزحزحه من مكانه ؛ وكذلك إذا أحل الله البركة في شيء فلا يستطاع نزعها؛ لأنها تلتصق به وتنتشر في كل أجزائه ودواخله (وكل شيء ثبت وأقام فقد برك)[٤].

٣- التقديس والتنزيه والتعالي والتعاظم ، ولا تكون هذه الصفات إلا لله جل جلاله ، فهو واهب هذه البركة ومانحها ، فمعنى بركة الله أي: رفعته وعلوه على كل شيء[٥].

٤- التفاؤل بالشيء، من قولهم : تبركت به أي: تيمنت به وتفاءلت[٦].

٥- السعادة ، ومنه قوله "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت[٧]، ومثله في التشهد "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وإليه ذهب الفراء والأزهري[٨]. والأزهري[٨].

---

١) لسان العرب، تاج العروس (برك).

٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢٠٨/١.

٣) مفردات ألفاظ القرآن ٦٩/١ – دار النشر – دار القلم – دمشق.

٤) (روح المعاني ٧٢/١٢ ـ عند تفسير قوله : "وبركات عليك").

٥) لسان العرب.

٦) تاج العروس، لسان العرب.

٧) هود ٧٣.

٨) تاج العروس (برك).

٦- الثبوت والدوام ، ومثاله حديث الصلاة على النبي ﷺ: "وبارك على محمد وعلى آل محمد" فمعناه: (أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة)[١] ومثل قولهم: أبركت السماء أي : دام مطرها.

٧- الرسوخ والإقامة والقرار، ومنه قولهم :(بركة الماء)، وسميت بذلك لإقامة الماء فيها، وكل شيء ثبت وأقام فقد برك .

٨- المواظبة على الشيء، كقولهم : باركت على التجارة وغيرها، أي: (واظبت عليها)[٢].

٩- الصدارة في الشيء، وأصل البرك: صدر البعير[٣].

١) لسان العرب.

٢) مختار الصحاح.

٣) لسان العرب.

م	الصيغة	مرات ورودها	مواضعها حسب ترتيب المصحف
١	الماضي على اختلاف الضمائر المتصلة به: (بارك . باركنا تبارك . بورك)	سبع عشرة مرة	**(بارك)** مرة واحدة : فصلت(١٠) **(باركنا)** ست مرات: الأعراف (١٣٧)، الإسراء(١)، الأنبياء (٨١,٧١) سبأ(١٨)، الصافات (١١٣). **(تبارك)** تسع مرات: الأعراف(٥٤)، المؤمنون(١٤)، الفرقان (٦١,١٠,١) غافر(٦٤)، الزخرف(٨٥)، الرحمن(٧٨)، الملك(١) **(بورك)** مرة واحدة: النمل(٨).
٢	صيغة الجمع بالألف والتاء: بركات ـ بركاته	ثلاث مرات	**بركات:** مرتان: الأعراف (٩٦)، هود(٤٨) **بركاته:** مرة واحدة (هود٧٣)
٣	صيغة اسم المفعول: (مبارك ـ مباركا. مباركة)	ثنتا عشرة مرة	**مبارك:** أربع مرات (الأنعام١٩٢، ١٥٥)، الأنبياء (٥٠)، ص(٢٩). **مباركًا:** أربع مرات: آل عمران(٩٦)، مريم(٣١)، المؤمنون(٢٩)، ق(٩). **مباركة:** أربع مرات: النور(٣٥، ٦١)، القصص(٣٠)، الدخان(٣)

وقد وردت مادة البركة بمشتقاتها في البيان القرآني (ثنتين وثلاثين) مرة موزعة على (ثلاث صيغ) اشتقاقية :

ثلاث صيغ ثنتان وثلاثون موضعا

تحرير مصطلحات

ربما تتشابك لفظة البركة مع غيرها من الألفاظ ، التي يتوهم منها اتفاقها جميعاً في تأدية المعنى المراد، والأمر على خلافه ، فوجب التفريق بين مدلول كلمة البركة ومشتقاتها وبين غيرها، مع التأكيد على أنه (ليس لضد البركة اسم معروف)[١].

بين البركة وغيرها: أبرز ما يميز البركة عن غيرها، أنها تعني: الزيادة والوفرة الحسية والمعنوية ، بخلاف غيرها مثل:(الزيادة – العطاء ....الخ) فهي مصروفة إلى الأمور الحسية الظاهرة فبينهما عموم وخصوص .

ثم إن البركة ملموح فيها معنى : لزوم الخير وثبوته في الشيء ، فهي (وصف لكل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي)[٢] لاشتقاقها من البروك بمعنى: الثبوت واللزوم _ كما سبق بيانه .

فالبركة إذا حلت في القليل كثَّرته ، وإذا حلت في الكثير أصاب ونفع .

ثم إن البركة مخصوصة بالزيادة في الخير، بخلاف غيرها فقد يدل على الزيادة في غير الخير، مثل قوله تعالى: "زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون"[٣] وقوله "ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً" [٤].

---

١) الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – مؤسسة النشر الإسلامي ٩٥/١ فقرة رقم ٣٨٧.

٢) السابق.

٣) النحل٨٨ .

٤) الأحزاب٦٨.

المبحث الأول
البركة وصفًا للذات الإلهية

المتأمل في البيان القرآني يجد البركة قد جاءت وصفاً للذات الإلهية في تسع مواضع من النظم القرآني

وجاء وصف الذات الإلهية بالبركة ملتزماً صيغة اشتقاقية واحدة ، هي (تبارك) صيغة تفاعل من البركة، دلالة على كثرة خيره تعالى ووفرة آلائه على عباده .

وهي صيغة لا يوصف بها إلا الله تعالى ، لذا لا تتصرف في كلام العرب فلا يأتي منها مستقبل ولا اسم فاعل[١].

" وإسناد صيغة "تبارك" إلى الذات الإلهية يفيد قوة اتصافها بالبركة (لما تدل عليه صيغة تفاعل من قوة حصول المشتق منه لأن أصلها أن تدل على صدور فعل من فاعلين مثل :تقاتل وتمارى فاستعملت في مجرد تكرر الفعل مثل (تسامى، تعالى)[٢].

كما أن اطراد نسبة فعل البركة إلى الذات الإلهية بهذه الصيغة "تبارك" مؤذن بظهور الفعل على المتصف به ظهورًا بينّا حتى كأن صاحبه يظهر، ومنه "تعالى الله" أي: ظهر علوه، ومنه "تبارك الله" أي: ظهرت بركته[٣].

وترد صيغة "تبارك الله" في مقام الثناء وهي:

"في مقام الثناء تقتضي العموم بالقرينة ، أي أن كل وفرة من الكمال ثابتة لله تعالى، بحيث لا يتخلف نوع منها عن أن يكون صفة لله تعالى"[٤].

ولم يأت فعل "تبارك" منسوباً إلى ضمير الذات الإلهية، بل ورد منسوباً إما إلى اسم الجلالة "الله" مثل:

---

١) المحرر الوجيز ٤١٠/٣، روح المعاني ١٣٨/٨ ، نظم الدرر ٢٩١/٥ بتصرف يسير.

٢) التحرير والتنوير ٢٦٨/٢٥ (عند تفسير قوله تعالى "وتبارك الذي له ملك ...) الزخرف ٨٥.

٣) السابق ١٦٩/٨(عند تفسير قوله تعالى "تبارك الله رب العالمين) الأعراف ٥٤.

٤) التحرير والتنوير ٦/٢٩ (عند مطلع سورة الملك).

" تبارك الله رب العالمين " الأعراف٥٤ ، أو إلى " اسم" المضاف إلى ربك مثل:" تبارك اسم ربك" الرحمن٧٨

أو مسندا إلى الاسم الموصول مثل" تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان١.

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) الملك١.

ويمكن القول إن في إسناده" تبارك " إلى اسم الجلالة " الله": (تربية المهابة وإدخال الروعة ، والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة ـ مما وردت البركة في سياقه ـ من أحكام الألوهية ، وللإيذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته ﷻ أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالا وإعظاماً لشئونه جل وعلا)[١].

فضلاً عما في إسناد البركة إلى الاسم الصريح من جعل(الجملة كلمة ثناء مستقلة)[٢]، ففي ذكر الاسم الصريح هنا تأسيس وهو أبلغ من التوكيد.

وقد غلب على البركة –المسندة إلى الذات الإلهية –مجيؤها لإفادة معنى التنزيه والتمجيد والتعالي ، لذا فهي تقوي الشعور بالرهبة والعظمة لدى السامع.

كما جاءت صيغة " تبارك الله " لإفادة معاني : كثرة خيره تعالى وفيوضاته على خلقه.

وأما إسناد صيغة "تبارك" إلى الاسم الموصول فيفيد أن مضمون جملة الصلة لا يكون إلا له جل جلاله ؛ فتنزيل الفرقان لا يكون إلا منه تبارك وتقدس "تبارك الذي نزل الفرقان"، وملك كل شئ لا يكون إلا بيده سبحانه "تبارك الذي بيده الملك".

---

١) روح المعاني ١٥/١٨، (عند تفسير "فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون١٤ بتصرف يسير جداً.

٢) التحرير والتنوير ١٩٠/٢٤ عند تفسير قوله تعالى "فتبارك الله رب العالمين" غافر٦٤.

وقد كثر ورود صيغة "تبارك الله" في معرض التذكير بفضل الله على خلقه، بذكر آلائه وإنعامه عليهم بما لا يقدر عليه سواه جل وعز، تأكيداً على استحقاقه تعالى بالربوبية والألوهية تفرداً ، وفي ذلك إخراس لمدعي الشريك والولد.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الأعراف٥٤.

فالآية تذكير بأن الذي خلق السموات والأرض؛ ثم استوى على العرش استواء قدرة وإحاطة وتمكن؛ ثم يغشي الليل النهار في دورة دائبة منتظمة ؛ والذي سخر هذه الأفلاك العليا بأمره ؛ لهو الحقيق أن تُفردوه بالألوهية والربوبية ؛ فله وحده تعالى الخلق والأمر لا غيره .

فمعقد المعنى في الآية – بشكل خاص – يقوم على (قضية الألوهية والربوبية والحاكمية)[١].

ثم ناسب ذلك ختم الآية بالثناء على الرب ، الخالق المدبر وتنزيهه ـ تعالى ـ عن كل نقص في الخلق والأمر، وكذا الثناء عليه جل جلاله فقد فاض على الخلق خيره ، وعمت الكونَ آلاؤه وكثرت بركاته .

"فتبارك الله" إشارة إلى استحقاقه تعالى التقديس والتنزيه ثم الثناء الجميل لذاته العلية .

ثم تختم الآية بـ (رب العالمين) إشارةً إلى استحقاقه ذلك (لصفاته فهو مبدع ذلك كله ، ومربيه خلقاً وتصريفاً بأمره)[٢] وختام الآية (رب العالمين) بهذا مشدود بأولها "إن ربكم الله" في اتساق عجيب .

---

١) في ظلال القرآن ١٢٩٧/٣.

٢) نظم الدرر ٤٣/٣.

*- كما تأتي البركة هنا مراداً بها: كثرة الخير واتساعه في غاية المناسبة لذكر النعم والآلاء في مطلع الآية .

ومن شواهده قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) غافر ٦٤.

فالآية واردة في مقام إفراد الله بالألوهية والربوبية واستحقاقه العبودية دون سواه حيث بدأت بذكر أفعال خاصة لا يقدر عليها غيره جل جلاله ، فمِن حيث المكان: جعل لهم الأرض قراراً والسماء بناءً ، ومن حيث ذواتهم وفي أنفسهم حين صورهم في أحسن صورة وأمدهم بالطيبات من الرزق، فجمع لهم بين الإيجاد (أحسن صورة، والإمداد "أطيب الرزق")[1] فكل ما ذُكر إنما هو وصف للألوهية والربوبية وصولاً إلى قوله: "ذلكم الله ربكم" وهو قطب الرحى في الآية.

والدليل على ذلك هو تكراره هنا . بعد سبق ذكره آنفاً . في قوله جل جلاله: " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" غافر ٦٢.

ففي هذا التكرار إشعار بأن هذا هو المعنى المعقود عليه الآيات ، كما أفاد هذا التكرار (التوقيف على خطل رأيهم في عبادة غيره على طريقة التعريض بقرينة ما تقدم من قوله "لا إله إلا هو فأنى تؤفكون"، وقرينة قوله في الآية اللاحقة "لا إله إلا هو")[2] ليأتي ختام الآية "فتبارك الله رب العالمين" مؤكداً تفرده تعالى بالألوهية والربوبية دون غيره وتنزيهه وتقديسه دون سواه لكمال قدرته وتمام خلقه.

فجاء التعبير بالبركة هنا في حاق موضعه سواء كان المراد بها:

١) التحرير والتنوير ١٩٠/٢٤ بتصرف.

٢) السابق.

أ- التنزيه والتقديس والتمجيد، إذ لا موجود يقدر على الإنعام بمثل هذه النعم - مكاناً ونفساً - غيره تعالى، فالكل مفتقر إليه سبحانه لذا لم تجب الألوهية إلا له ،ولا تصلح الربوبية لسواه.

ب- أو كان المراد بالبركة هنا كثرة الخير ووفرة الآلاء ، تذكيراً بفضل الله المتجدد وهو مناسب لصدر الآية المفتتح بذكر نعمة الله عليهم المتعلقة بالمكان وبأنفسهم بعد ذكر نعمته عليهم المتعلقة بالزمان في الآية السابقة (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) غافر ٦١.

فالسياق دائر حول(تحديد النعمة فيما يستحسنه البشر لاسيما هذه الآية التي هي مخاطبة لكفار، فإنما عددت عليهم النعمة التي يعتقدونها نعمة)[١] والمقام يستدعي هذه المعاني كلها للبركة ويطلبها.

ومن الشواهد التي أسند فيها الفعل " تبارك " إلى الاسم الموصول قوله تعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان١.

(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) الفرقان١٠.

(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) الفرقان٦١.

ففي الشاهد الأول تستفتح السورة بنسبة فعل البركة إلى الاسم الموصول "الذي"، وجملة الصلة بعده من خصائص الله جل جلاله (إنزال الفرقان على عبده)، والبركة هنا قد يراد بها تنزيه الله جل شأنه وتعاليه عن كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهذا المعنى مناسب جداً لمطلع السورة الذي جاء رداً (على مقالات لقريش من جملتها قولهم إن هذا القرآن افتراه محمد ﷺ وأنه ليس من عند الله)[٢].

١) المحرر الوجيز٥/٥٦٧.
٢) المحرر الوجيز ٥/٢٩.

وعليه فالبركة بمعنى التقديس والتنزيه جارية على لاحب الدعامة الأولى للسورة وهي :(إثبات أن القرآن منزل من عند الله)[١].

وترتيب البركة– بمعنى التنزيه والتقديس – على إنزال الفرقان (لما أنه ناطق بعلو شأنه سبحانه وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية)[٢].

وقد يراد بالبركة هنا: تكاثر الخير وتواليه وزيادة العطاء ، والذي من جملته هنا:

إنزال الفرقان على قلب الحبيب محمد ﷺ، ومناسبة البركة – بهذا المعنى – لإنزال الفرقان جلية ، ففي الفرقان من الخير فوق ما تذهب إليه عقول البشر، ولا غرو فهو الروح والهدى والذكر والنور والكتاب الذي لا يستحق أن يوصف بالكتاب غيره ، وهو الحبل المتين .....

كما جاءت البركة ـ مراداً بها زيادة الخير وتكاثره ـ في تمام الملاءمة، لتعديد النعم الواردة في الآية ، أعني : " إنزال الفرقان" وهي في ذاتها نعمة مستقلة، تؤكد مصدر هذا الفرقان وأنه من عند الله تبارك وتعالى (تبارك الذي أنزل الفرقان) ثم تتوالى النعم ببعثة محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً .

(ومدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة)[٣].

* ففي الآية تذكير وامتنان بنعمتين:

"إنزال الفرقان"، "بعثة محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيرا".

١) التحرير والتنوير ٣١٤/١٨، في ظلال القرآن ٢٥٤/٥.
٢) روح المعاني ٢٣٠/١٨.
٣) التحرير والتنوير ٣١٤/١٨.

وهما نعمتان لا يستطيع العبد توفية شكرهما ولا نصفه ولا ربعه ... وإن سجد لله شكراً طيلة حياته ، وأرى التذكير بنعمة بعثة النبي محمد ﷺ يتناسل من قوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران١٦٤.

إذن فالبركة هنا دائرة على معنيين:

١ – التنزيه والتمجيد، فهو مِن: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه وتفرد.

٢– زيادة الخير وتكاثره.

والمعنيان مناسبان للسياق جد مناسبة، غير أن المعنى الأول أكثر مناسبةً وأشد تناغماً، لاشتمال السورة على طعنهم في الكتاب وفي الرسول وفي اليوم الآخر، واتخاذهم الشريك مع الله ونسبتهم الولد إليه، تعالى وتنزه عما يقولون علوّاً كبيراً.

فكل ذلك يقوي كون المراد بالفعل "تبارك" هنا : التقديس والتنزيه وتعاليه جلّ جلاله عما يقول المفترون.

ويأتي التعبير بالبركة مرّة ثانية في السورة ذاتها في قوله تعالى:

(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) الفرقان(١٠).

وابتدأت الآية هنا بما استفتحت به السورة ، بذكر فعل "تبارك" المسند إلى جملة الصلة "الذي إن شاء جعل..." استشهاداً بمضمون جملة الصلة على تأكيد وتقرير نسبة البركة إليه تعالى.

فقد أفادت جملة الصلة استحقاقه جل جلاله لكل ما يحمله فعل "تبارك" هنا من معاني.

والجملة هنا آتية في معرض الرد على تفاهة ما طلبه هؤلاء المعاندون وحقارة تصورهم في الآية السابقة "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ...".

فصُدّرت الآية – محل الشاهد – بفعل "تبارك" ، بمعنى تعالى وتسامى عن خلقه، وتنزه عن أن يعجزه مثل طلبهم هذا ، فإنه إن شاء – جلت قدرته – جعل لنبيه خيراً مما طلبوه واقترحوه.

وفي التعبير بالبركة المسندة إلى الاسم الموصول هنا (رجوع بأمور محمد ﷺ إلى الله تعالى، أي هذه جهتك لا هؤلاء الضالون في أمرك)[1] وفي هذا تقوية لكون المراد بالبركة هنا: التقديس، والتعالي، والتنزيه لله جل ثناؤه.

وقد تفيد البركة هنا تنامي الخير وكثرة العطاء ، لاسيما والحديث هنا عن نعم وآلاء....، فوق ما تفيده البركة من ثبوت هذا الخير ودوامه.

وأيما كان المعنى المراد "بالبركة" هنا، ففي استفتاح الآية بالبركة هنا تسرية عن الرسول ﷺ وتثبيتُ له – مقابل سفاهة القوم – بتذكيره ﷺ بقدرة من أرسله، قدرة لا حد لها ولا منتهى ، فهو مبعوث ذي القدرة والقدر، وأنه ﷺ يأوي إلى ركن ركين.

ونمضي إلى ختام السورة فتأبى إلا أن تختم بما افتتحت به بالبركة ، فنحط رحالنا في الوقفة الأخيرة للسورة عند قوله تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا" الفرقان ٦١.

واستُهلت الآية بالثناء على الله وتمجيده، للرد على جهالة القوم وسفاهتهم وتطاولهم في سؤالهم "وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟..." هكذا بكل استهتار وانعدام توقير للذات العلية .

فجاءهم الرد بتنزيه الله وتعاليه عن كل موجود ، والتحدث ببركته وعظمته، وذلك بذكر بعض آثار رحمانيته التي لو تفكروا فيها لخرُّوا للرحمن سجّداً: "تبارك الذي جعل في السماء بروجاً.."

---

١) المحرر الوجيز ٢٩/٠٥

وبدء الآية بالبركة هنا جد مناسب للمقام الواردة فيه ، وتوجيهها على معاني التنزيه والتمجيد جليّ بارز، ففيها – فوق ما تقدم بيانه – مناسبة للدعامة الثالثة التي قامت عليها السورة (الاستدلال على الله وتفرده بالخلق)[١].

وعن سر التعبير بـ (جعل البروج والسراج والقمر المنير) كبعض آثار رحمانية الله تعالى يمكن القول:

إن ذلك أنسب وأدخل فيما قامت عليه السورة من الاستدلال على الله وتفرده بالخلق، لكون الآثار المذكورة هنا لا يقدر عليها غيره ولم يدعيها سواه.

وتوجيه البركة على معاني "زيادة الخير وثبوت العطاء وتنامي النعم ووضوح آثارها .. أيضاً مما يستدعيه السياق ويلح عليه .

وفي التعبير بالبركة هنا تسريةُ لرسول الله ﷺ ومسح لآثار تطاول هؤلاء المعاندين المتبجحين عليه ﷺ كما جاء في مطلع السورة .

فماذا يُنتظر من قومٍ لا يرجون لله وقاراً أن يفعلوا مع نبيهم ؟!

ونمضي في رياض البركة القرآنية فنصل إلى قوله تعالى:

(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن٧٨.

والتعبير بالبركة هنا مبين غاية البيان عن التآزر والانسجام بين الآية في سياقها وبين السورة في سياقها الكُلّي.

فالسورة مبنية على (التذكير بعظمة الله تعالى ونعمائه في الدنيا والآخرة)[٢] وآياتها مسوقة للتدليل على إفراد الله بالإنعام والإحسان بمثل هذه الأفضال فناسب التعبير بالبركة سياق تعديد النعم وذكر الآلاء .

ومما يدل على أن السورة كلها جارية على لاحب ذكر الالاء وذكر النعم، ما ورد في الحديث الشريف: (من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه)[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٤/١٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧٦/٢٧.

٣) تفسير الكشاف، تفسير البيضاوي عند تفسير سورة الرحمن ، ولم أقف عليه في كتب الحديث.

وثمت مظهر من مظاهر التناسب هنا بين التعبير بالبركة وبين خاتمة الآية "ذي الجلال والإكرام" ومبعث هذا التناسب هو: أن الدعاء بهاتين الصفتين (حَسَنُ مرجوّ الإجابة، وقال رسول الله ﷺ "أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام")[1].

وعليه ففي هاتين الصفتين "ذي الجلال – الإكرام" مظهر من مظاهر البركة المستمرة، تتسق مع افتتاح الآية بالبركة: (تبارك ... ذي الجلال والإكرام).

ولا تقتصر مناسبة البركة بهذا التفسير لخاتمة الآية بل تمتد مناسبة البركة – بمعنى تكاثر الخير وتعدد النوال – إلى مطلع السورة وأخصُّ الآية الأولى منها (الرحمن) فهو منبئ أن ما سيعقبه من آلاء ونعم إنما هو محض رحمته التي وسعت كل شيء ، ثم كان من جليل التناسب أن تختم السورة بالثناء على الله وتمجيده تعالى بقوله " تبارك اسم ربك" ـ " اسم ربك " الذي افتتحت به السورة وهو "الرحمن" ـ "تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام" .

ولا مشاحة في تفسير البركة هنا بالتنزيه والتعالي، لمناسبته للوصف المختومة به الآية (ذي الجلال والإكرام)

ثم إن تفسير البركة بالتعالي والتنزيه مناسب لتذييل النعم والآلاء ، فإنه لا يقدر عليه غيره جل جلاله ولا يجود بها سواه.

وفي مجيء البركة بمعنى التنزيه والتمجيد هنا تقرير(لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام، أي تعالى اسمه الجليل وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها)[2].

---

١) معالم السنن ـ الخطابي ـ باب الرجل يزني بحريمه ـ نشر: المطبعة العلمية – حلب ـ ط: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م ـ ٣٢٨/٣ ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ـ القاري ـ كتاب أسماء الله تعالى ـ نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان ـ ط:الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ـ ١٥٨٥/٤

٢) أبو السعود ١٧٨/٨

وقد تفسر البركة هنا بمعنى الثبوت والدوام ، ولهذا المعنى هنا أكثر من وجه:

فقد يحمل المعنى على : دوام اسمه تعالى وبقاء ذكره.

فمجيء قوله تعالى " تبارك اسم ربك " إثر ذكر الآخرة ، مُشعر أن الدائم والباقي ذكره هو الله تعالى ، فالدنيا زائلة ، وبقاء الآخرة ببقاء الله جل جلاله ودوامه ، بدليل أن أعظم نعيمها هو : النظر إلى وجه الله الكريم .

ويأتي دوام اسمه تعالى وذكره من جهة أخرى وهي:

أنه في يوم القيامة (لا يتبقى اسم أحد إلا اسم الله تعالى، به تدور الألسنة ولا يكون لأحد عند أحد حاجة بذكره .... فإن تذاكروا تذاكروا باسم الله)[1] فدوام اسمه تعالى – بعد فناء كل حيّ – لدوام الذاكرين في القيامة.

وقد يتجه معنى الثبوت والدوام هنا إلى نعم الله وآلائه فهي في الآخرة لا انقضاء لها .

١) تفسير الرازي ١٣٨/٢٩ عند تفسير الآية الأخيرة من سورة الرحمن.

المبحث الثاني
البركــة في الحديث عن الأنبياء
وأهلهــم ومن آمــن معهـــم

نقف في هذا المبحث على مجيء البركة وصفاً للذات البشرية ، ويلاحظ أن البركة جاءت وصفاً للأنبياء كما جاءت وصفاً لغيرهم .

البركة وصفا لنوح عليه السلام وأمم ممن معه

وأول موضع– في ترتيب المصحف – جاءت فيه البركة وصفاً للأنبياء قوله تعالى:

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) هود٤٨.

والآية دائرة في سياق الربط على قلب سيدنا نوح وتسكين جأشه ، بعد انتهاء آثار الطوفان المدمر "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء ....." وتأتي قيمة نعمتي: الأمن، والبركة هنا من استحضار الصورة والمشهد الكلي للدنيا بعد الطوفان الذي أتى على كل شيء، وهذا من شأنه أن يلبس النفس لباس الخوف والجزع ، فكيف العيش والحالة هذه؟!

ومن أين يدفع المرء عن نفسه حاجاتها الضرورية من مطعم ومشرب وغيره ...! وأنَّى العيش في الدنيا وقد أكل الطوفان عمارها؟! فاستدعى المقام ما يؤمّن النفس ويسكنها فجاء التعبير بهاتين النعمتين: الأمن، كثرة الخير وتناميه ودوامه وبقاؤه "اهبط بسلام منا.. وبركات عليك" فزال الخوف على النفس بالأولى ، وانكشف الخوف على الأرزاق وعمارة الدنيا بالثانية.

وتأتي بلاغة التعبير بالبركة هنا ، من كون نوح عليه السلام ومن معه حديثي عهد بطوفان مدمر أكل الأخضر واليابس، فاقتضت رحمة الله ـ التي وسعت كل شيء ـ واستدعى لطفه تعالى بعباده أن يكفل لشيخ المرسلين فيوض الخير وحلول البركات في كل شيء، وفي كل الجهات فالبركة هنا

بمعنى زيادة الخير ووفرته، كما أنها بمعنى ثبوت هذا الخير وبقائه ودوامه، فالشيء إذا ثبت وأقام فقد برك[١].

وكلا المعنيين ناهض بالمراد خادم للسياق.

وتفسير البركة بالخير وحلوله في كل الجهات واضح في قصة نوح عليه السلام هنا ومن صورها:

البركة في نسله عليه السلام، فعمرت الأرض بعد الطوفان بذريته وما تناسل منه، فصار نوح عليه السلام أبا البشر ولقّب بـ (آدم الثاني ، وآدم الأصغر)[٢].

ومن صور البركة أيضاً هنا: حلول الخير والنماء فيما تقوم به الحياة وتنهض به معايش نوح عليه السلام ومن معه.

ولا يمكن تصور هذا الخير ولا ذاك النماء حالاً في كل شيء بعيداً عن استحضار الجار والمجرور في قوله " وبركات عليك .." الذي أفاد شمول هذه البركات لكل الأجزاء والأشياء.

على حد قول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج[٣]

ولو استغنى التركيب هنا عن الجار والمجرور لفات معه جزء كبير من بلاغة المعنى .

وفي تكرار ذكر الجار والمجرور "عليك" مزيد تكريم وتشريف لنوح ـ عليه السلام ـ حين خصه بذلك أولاً، ثم انسحب هذا الفضل على ممن معه حتى شمول هذا السلام والبركات إياهم، إنما بكريم صحبتهم له عليه السلام وشرف معيتهم ففيه بيان لسبب كرامتهم.

---

١) كما سبق بيانه في معاني البركة.

٢) الرازي ٨/١٨، روح المعاني ٧٢/١٢ وانظر الكشاف ٣١٠/٢

٣) لزياد الأعجم من بحر الكامل في مدح عبد الله بن الحشرج ـ الأغاني ـ الأصفهاني– دار الفكر – بيروت . ط: الثانية ت: سمير جابر . ٣٧٧/١٥

وفي هذا زيادة فضل لنوح – عليه السلام – وإلا لكان ممكناً الاكتفاء بجار ومجرور واحد، فيقال مثلاً: اهبط بسلام منا وبركات عليكم.

والأمر نفسه في استحضار جمال التعبير بالجار والمجرور "منا" في قوله "اهبط بسلام منا" عن قوله مثلاً في غير القرآن "اهبط بسلام"، ففي التعبير بالجار والمجرور هنا مبالغة في تبديد خوف نوح عليه السلام، وتفخيم شأن هذا السلام، وتلك البركة لأن مصدرهما ضمير العظمة "منا".

وفي هذا دليل على (أن الصديقين لا يفرحون بالنعمة من حيث إنها نعمة، ولكنهم إنما يفرحون بالنعمة من حيث إنها من الحق ... فإن الفرح بالسلامة والبركة من حيث هما سلامة وبركة غير الفرح بالسلامة والبركة من حيث إنهما من الحق)[1].

وقد يكون المقصود بالبركة في الآية الدعاء لنوح بها، (وهو مناسب لكون السلام بمعنى التسليم)[2]، فيصير المعنى: اهبط عليك سلام الله وبركاته، على قصد الدعاء له.

ويتحقق وعد الله (وبركات عليك وعلى أمم ممن معك)، ووعيده (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذابُ أليم).

ولعل في ذكر قصة إبراهيم ثم قصة نوح في السورة هنا كشفا لجانب من جوانب تحقق هذا الوعد والوعيد

فقصة إبراهيم ـ والبركة في ذريته ـ تحقق للوعد بالبركة، وقصة لوط ـ وما أصاب قومه ـ تحقق للوعيد بمس العذاب.

وكما يقول صاحب الظلال:(في قصتي إبراهيم ولوط هنا يتحقق وعد الله لنوح بطرفيه)[3].

---

١) الرازي ٨/١٨.

٢) روح المعاني ٧٢/١٢، الكشاف ٣١٠/٢.

٣) في ظلال القرآن ١٩١١/٤.

وقد قرأ البعض (وبركة عليك) بصيغة الإفراد[١]، ويمكن حمل قراءة الإفراد هنا على إرادة جنس البركة ؛ وبه تصير البركة (بالإفراد) أكثر من بركات (بالجمع) لأن الجمع بالألف والتاء من جموع القلة[٢] .

والأغلب بصيغة الجمع ـ (وبركات عليك) ـ وغير خافٍ أن قراءة الجمع هي الأكثر مناسبة لمقام الامتنان وإزالة الخوف من النفس والدعاء لنوح عليه السلام، ثم هي الأنسب لكون المراد بالبركة هنا : كثرة الخير وانتشاره في جميع الجهات ، كما سبق بيانه.

البركة وصفا لأهل بيت إبراهيم الخليل عليه السلام

وذلك قوله تعالى ـ حكايةً عن ردّ الملائكة على زوج الخليل إبراهيم عليه السلام وقد تعجبت من تبشيرهم إياها بالذرية: " قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" هود(٧٣).

أي: لا مبرر لتعجبك ،لأنها بشارة ممن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ثم إن هبة الولد لكم إنما هي محض فضله وكريم عطائه، وواسع رحمته الجالبة لكل خير فائض ، وعين بركته الحالة بكم، والتي من صورها:

هبة الأولاد مع انعدام المقومات المادية في دنيا البشر على تحقق هذه الهبة.

وبإمعان النظر في السياق ، نجد البركة قد جاءت موجهة لأهل بيت الخليل عليه السلام في المقام الأول "وبركاته عليكم" وتنسحب ضرورةً على الخليل ضمناً، وذلك لأن أهل بيته هنا هم المقصودون بالكلام ابتداءً ، لوقوع التعجب منهم.

ولذا جاءت لفظة "بركاته" بصيغة الجمع دون صيغة الإفراد " بركته" لتشمل أهل البيت ومعهم الخليل عليه السلام.

---

١) البيضاوي ٢٦٨/٣.

٢) حقق ذلك العلامة الزمخشري عند توجيهه (معدودة ـ معدودات).

ولا ريب أن مجيء "البركات" ـ بصيغة الجمع ـ فيه مزيد تكريم وعظيم فضل من الله، على أهل بيت خليله عليه السلام، وهم بذلك أجدر لكونهم أهل بيت النبوّة والزلفى والكرامة.

وتتفق الآية هنا مع الشاهد السابق "قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك" في أكثر من جهة:

فمن جهة تتفقان في مجيء لفظة البركة بصيغة الجمع في الآيتين "وبركات عليك"، "وبركاته عليكم"

ثم تعديتها بـ "على" في الموضعين، مما يعني المبالغة في التشريف والإكرام، وعظم هذه البركات ووفرتها، لإحاطتها بهم وشمولها جميع الجوانب. فكل ذلك نهض به إيثار صيغة الجمع "بركات" والتعدية بـ "على".

<u>وتتفق الآيتان من جهة أخرى هي:</u>

تسليط "البركة" على المعنيّ بالأمر، والمقصود بالكلام أصلاً ، ثم شمولها لمن معه أو تبعه ضمناً ، ففي الآية الأولى توجهت البركات إلى شيخ المرسلين نوح عليه السلام أولاً ،ثم لمن شَرُف بمعيته لنوح.

وفي الآية الثانية:(.. وبركاته عليكم أهل البيت) توجهت البركات إلى أهل البيت ابتداءً ، ثم إلى إبراهيم عليه السلام ضمناً ، وفي هذا كشف وبيان لفضل ومنزلة مصاحبة أهل الفضل والقربى والدخول في معيتهم، فإن السلام والبركات ما عمَّ الأممَ مع سيدنا نوح إلا بشرف المعية وكريم الصحبة ، كما جاء في قوله تعالى هناك:" وبركات عليك وعلى أمم ممن معك".

وكذا رحمة الله وبركاته تتنزل وتشمل أهل بيت إبراهيم الخليل لكونهم أهل بيته، ورفقاء دربه، وسكان محل النبوة والفضل الإلهي.

ويتحقق وعد الله بالبركات لأهل بيت خليله عليه السلام فيأتي (جميع الأنبياء والمرسلين من ولد إبراهيم وسارة)[1] ومن أصدق من الله قيلاً!

---

١) القرطبي ٩/٧١.

وفي تناسل جميع الأنبياء والمرسلين من إبراهيم وسارة كمال ملائمة للتعبير بالبركة هنا بمعنى: الثبوت والدوام؛ فضلاً عما في التعبير بصيغة الجمع هنا من تناسب للبركة بمعنى: كثرة الخير وتناميه وتشعبه.

البركة وصفا لإسماعيل وإسحاق عليهما السلام:

خص القرآن الكريم من أهل بيت إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالبركة ابنيه النبيين الكريمين: إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، فقال تعالى: (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) الصافات ١١٣.

والآية واردة في ختام الحديث عن امتنان الله جل جلاله على خليله إبراهيم عليه السلام، أن وهبه إسماعيل على الكبر ومن وراء إسماعيل إسحاق .

ولما كانت الآية جارية في سياق الامتنان والتذكير بفضل الله وآلائه، ناسبها ـ غاية المناسبة ـ التعبيرُ بالبركة

" مقصوداً بها : كثرة الخير وتعدد الأفضال .

ووردت قراءة بلفظ " وبـرَّكنا " – بتشديد الراء– وذلك لإفادة المبالغة في تصوير هذه البركات.

ولم تأت المبالغة في وصف هذه البركات من قراءة التشديد فحسب ، بل أعانها عليه التعبير بحرف الجر "على" في قوله : "وباركنا عليه وعلى إسحاق "

المفيد للاستعلاء المجازي، والدال هنا على إحاطة البركة بالكريمين عليهما السلام .

وفضلاً عن قراءة التشديد ثم التعدية بحرف الجر "على"، ففي إسناد فعل البركة إلى ضمير العظمة "باركنا" ما يدل على تفخيم شأن هذه البركة وتعظيم أمرها . وأكرم بها من بركة !

والضمير الجار والمجرور في " عليه " راجع إلى الخليل إبراهيم عليه السلام عند غالب أهل التفسير[1]، وخالفهم في هذا البقاعي . رحمه الله . الذي ذهب إلى أن الضمير راجع إلى الذبيح "إسماعيل"، لكونه آخر مذكور عائد عليه الضمير في قوله "وفديناه" ثم المجرور في قوله "وباركنا عليه".

وذلك – عنده أولى من عودة الضمير إلى إبراهيم الخليل فقد استوفى مدحه، وانتقل السياق للحديث عن الذبيح عليهما السلام[2]، وهو عندي توجيه رائق.

وأيما كان عود الضمير فقد تحقق موعود الله بالبركة .

فمن صور البركة في جانب إبراهيم ـ عليه السلام ـ تكثير ولده ، والمباركة فيهم، وهذا واضح جليّ.

ومن صور البركة في جانب إسحاق إخراج الله جميع أنبياء بني إسرائيل من صلبه عليه السلام [2] بل قيل: (خرج من صلبه ألف نبيّ، أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليه السلام)[3]

ومن صور البركة في جانب الذبيح "إسماعيل" عليه السلام كون الحبيب محمد ﷺ والعرب من صلبه، كل هذا والبركة جارية بمعنى: كثرة الخير وزيادته.

وقد تجري البركة هنا بمعنى الدوام والثبوت، والمعنى: " وباركنا عليه وعلى إسحاق" أي: أدمنا لهما الذكر الحسن والثناء الطيب إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

البركة وصفا لكليم الله موسى عليه السلام

وشاهده قوله تعالى:

(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) النمل ٨.

---

١) الكشاف ٦١/٤، أبو السعود ٢٠١/٧، البيضاوي ٢٤/٥، الرازي١٥٩/٢٦، القرطبي ١١٣/١٥، الطبري ٩٢/٢١، روح المعاني ١٣٣/٢٣.

٢) الكشاف ٦١/٤، الرازي١٥٩/٢٦، الطبري ٩٢/٢١، أبو السعود ٢٠١/٧.

٣) نظم الدرر ٣٣١/٦.

فالآية واردة في معرض الحديث عن مجيء موسى الكليم عليه السلام إلى البقعة المباركة لتلقي أمر السماء، فلما جاءها ناداه ربه جل جلاله أن بورك من في النار ومن حولها.

والمراد بالنار هنا "نور الله" وذلك أن (موسى عليه السلام رأى نوراً عظيماً فظنّه ناراً، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر)[1].

واختلف في المقصود بقوله تعالى: "من في النار"، "من حولها".

فقيل إن البركة هنا أمر (عام في كل من كان في تلك الأرض وفي هذا الوادي وحواليهما من أرض الشام)[2].

والبركة على هذا بمعنى كثرة الخير وتعدد جهاته وفيوضه، وهذا غيض من فيض تجلي النور الإلهي على المكان ومن فيه وما حوله؛ وهنيئاً لبقعة أشرقت بنور ربها فسعدت وبورك من فيها ومن حولها.

وقيل في المراد بقوله "من في النار" إنما عنى الله بها نفسه جل جلاله[3]، وعليه تُفْهم بلاغةُ ختم الآية بتنزيه الله تعالى وتقديسه، ونفي التشبيه عنه جل جلاله "وسبحان الله رب العالمين"، فالبركة بمعنى التنزيه والتقديس.

ويجوز كون البركة بمعنى وفرة الخير وكثرة العطاء، والبركة من هذه الجهة لا تخطئها عين، ولا تحتاج لمزيد بيان وتفسير، إذ الملأ الأعلى مصدر كل بركة وقبلة كل خير، العطاء معقود بمشيئته تعالى، ولذا جاء فعل البركة مبنياً لما لم يسمَّ فاعله، لكونه معلوماً محصوراً في كون الذات الإلهية هي مصدر أي بركة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٨/١٣.

(٢) الكشاف ٣٤٩/٣

(٣) نسب غير واحدٍ من المفسرين هذا الرأي إلى حبر الأمة وترجمان القرآن: ابن عباس ومعه سعيد بن جبير والحسن وغيرهم . انظر القرطبي ١٨٥/١٣، المحرر الوجيز ٢٥٠/٥، الطبري ٧٠٨/٨، فتح القدير ٤٥٥/٤.

وقيل بل المراد بـ "من في النار" نوره تعالى وسلطانه وقدرته وأمره لأن الله أسمع موسى كلامه تعالى من ناحيتها وجهتها.

وفي هذا الرأي مزيد تنزيه لله –تقدس وتعالى – عن الشبه بالحلول في الأماكن والجهات، "ليس كمثله شيء" .

والآية على هذا تفسير للأمر الوارد في سورة طه: (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) طه١٢.

وقيل إن المراد بـ "من في النار" هو موسى عليه السلام، "ومن حولها" هم الملائكة الأخيار الحاضرون.

ومظهر بركته هنا هو تكليم الله تعالى إياه، وتشريفه ـ عليه السلام ـ بالرسالة والوحي إليه، وإظهار خوارق المعجزات على يديه ... حتى عمت آثار بركات ذلك جنبات أرض الشام كلها.

وعلى هذا الرأي فقوله تعالى: "بورك من في النار" من باب التحية والتكريم لكليم الله موسى، على شاكلة تحية خليل الرحمن إبراهيم وأهل بيته في شاهد سابق من هذه الدراسة ، وذلك قوله تعالى: "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت" هود.

وأنا إلى هذا الرأي أميل وأختار، لكون المقام يحتاج مزيد تلطف وكبير أنس وإيناس لموسى ـ عليه السلام ـ وتمهيد وتوطئة لما سيؤمر به، ليذهب عنه روع ما رأى، الأمر الذي أبانت عن طرف منه عديد من الآيات :

(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) الأعراف ١٣٧ .

(يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) النمل١٠.

(يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) القصص٣١.

ومما يُقوي كون السياق يقتضي مزيد تلطفٍ وإيناس، تضافرُ أساليب أخرى في الآية ذاتها على النهوض بهذا التلطف، أعني: العدول عن مخاطبة موسى عليه السلام بضمير الخطاب أو باسمه الصريح إلى مخاطبته بالهيئة والكيفية التي عليها، فعدل إلى "بورك من في النار" عن: "بوركت" أو ... مثلاً.

وهذا الإيناس والتلطف والتوطئة للأمر الجلل على شاكلة قوله تعالى – في القصة ذاتها – (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه ١٧–١٨)

وقيل المراد بـ "من في النار" الملائكة ، وبـ "من حولها" موسى عليه السلام، وهو إشعار بشمول فيض الخير الإلهي الملائكة (الذين وكل إليهم إنارة المكان وتقديسه)[١].

وشموله موسى عليه السلام حيث سيوحي إليه ويقضى بأمر عظيم، وشموله كذلك تلك البقعة خاصة التي كانت موطئاً لهذا التكريم الإلهي ، ومنها امتدت سحائب البركة إلى أقاصي أرض الشام، حتى صارت موصوفة بهذه البركة في غير آية من القرآن، على نحو ما سيتضح بيانه لاحقاً في شواهد الدراسة .

وزبدة القول:

أن البركة في الآية جارية على معنى: التنزيه والتقديس، لاسيما حين يكون المراد بها : الله جل جلاله أو نوره أو سلطانه وأمره تعالى.

كما أنها جاريةُ على معنى زيادة الخير ووفرته وامتداده إلى الغير إذا كان المراد بها الملائكة و موسى عليه السلام وما حول النار من أرض.

البركة وصفاً لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام

ومثالها قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

"وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" مريم ٣١.

فالآية تتحدث عن فضل الله تعالى على روحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم (عيسى عليه السلام) فقد آتاه الكتاب صغيراً ، واستنبأه طفلاً ، ثم جعله مباركاً حيثما كان عليه السلام. ولما كان المقام مقام ذكر طرف من نعم الله وآلائه ، لاسيما على المصطفين من عباده ، ناسبه ورود البركة هنا بمعنى كثرة الخير وتعدده

١) التحرير والتنوير ٢٢٦/١٩.

وثبوته، بل وتعديه للغير لذا جاء قوله "مباركاً أينما كنت" ولفظ "أينما كنت" هو المنبّئ عن تعدد هذا الخير نظراً لتعديه وعدم اقتصاره على مكان دون مكان، فتسير البركة حيث يسير.

وذهب المفسرون غير مذهبٍ في توجيه بركة عيسى عليه السلام فقيل "مباركاً" أي : نفاعاً للغير ومن صور نفعه (إبراء الأكمه والأبرص ... وكان قاضياً للحوائج)[١] وكانت بعثته عليه السلام رحمةً ببني إسرائيل (يحل لهم بعض الذي حرم عليهم)[٢].

ومن صور نفعه عليه السلام وبركته (أن جعل الله حلوله في المكان سبباً لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها وتوفيقهم إلى الخير، ولذا كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون انقلبوا صالحين وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة)[٣].

وقيل "مباركا" أي: معلماً للخير ، ومن أمثلته في حياة عيسى عليه السلام دعوته بني إسرائيل (إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيّروا من دينهم)[٤] وقيل "مباركاً" من البركة بمعنى الثبوت والدوام، والمراد: (ثابتاً على دين الله مستقراً عليه)[٥].

ومما يرشح هذا المعنى قوله عليه السلام" أينما كنت " إثر قوله "مباركاً"، مما يفيد (أن حاله لم يتغير)[٦] فهو عليه السلام متلبس بالبركة الإلهية حيثما كان، ومقيم عليها فهي حالة لا تفارقه، وأكرم بها من عطاء إلهي!

---

١) روح المعاني ٨٩/١٦ بتصرف يسير.
٢) التحرير والتنوير ٩٩/١٦.
٣) السابق.
٤) السابق.
٥) الرازي ١٥/٢١.
٦) السابق.

وقد تكون البركة بمعنى: الزيادة والعلو، والمعنى: (جعلني في جميع الأحوال غالباً مفلحاً ناجحاً، لأني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعلياً بالحجة ، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء)[1] ولن تجد هذه الدلالات المكتنزة خلف اللفظة الواحدة والدلالات الثرَّة في غير كلام رب العالمين . جل جلاله . وهي صورة من صور بركات القرآن الكريم.

١) السابق.

المبحث الثالث
البـركة في الحديث عن القرآن

وهنا نسيح في رحاب الشواهد القرآنية التي جاءت فيها البركة للقُرآن الكريم، نتسمع أسرارها ونتلمس خصائصها ونقف على سياقاتها.

*. ومن أبرز الشواهد التي تطالعنا في هذا الباب قوله تعالى:

أ- " وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ " الأنعام٩٢.

ب- " وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " الأنعام ١٥٥.

ج- " وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ" الأنبياء٥٠.

د- كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ص ٢٩.

وبإمعان النظر في شواهد وصف القرآن الكريم بالبركة يتجلى الآتي:

١- التعبير بالإشارة القريبة - غالباً - "هذا " وذلك لقربه ووضوحه وسهولة تناوله ويسر حفظه(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)القمر(١٧)، وكل ذلك في حد ذاته أحد مظاهر بركته، فتناغم التعبير بالإشارة القريبة مع وصفه بالبركة، وتبارك وتقدس مَن هذا كتابه !.

٢. كما يلاحظ من تقليب النظر في شواهد وصف القرآن بالبركة تغاير وصفه "بالإنزال" ووصفه "بالبركة".

فغالباً ما تُقدَّم صفةُ "الإنزال" على صفة "البركة" نحو قوله تعالى:

" وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ" الأنعام ٩٢، ١٥٥.

" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ" سورة ص٢٩.

وأرى - والله أعلم بمراده - أن صفة "إنزاله" تقدمت غالباً على صفة "بركته" ، لأن محل النظر ومعقد المعنى غالباً هو "إنزاله من عند الله" .

فليست ثمة مرية عند القوم في كونه "كتاباً"، إنما امتراؤهم وجدالهم بالباطل في كونه من عند الله، ولذا قدمت صفة "إنزاله" لتقطع هذا الامتراء وتبطل ذلك الجدال.

ثم تُقدم صفة "البركة" على صفة "الإنزال" أحياناً ، كما في قوله " وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ " الأنبياء٥٠.

ولعل السر في تقدم البركة هنا هو التوفية على وصف كتاب موسى عليه السلام في الآية السابقة " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ" الأنبياء٤٨، فالآية هنا ملتحمة بسابقتها وناظرة إليها، فناسب ذلك وصف القرآن بالبركة، بمعنى: اشتماله على ما وصف به كتاب موسى وزيادة، فالبركة هنا بمعنى: وفرة الخير وتعدده وثبوته وامتداده.

وأيما كان الأمر فبركة القرآن لا ينكرها ويماري فيها إلا مدخول الفكر، ومن صور بركة القرآن:

وجازة ألفاظه وغزارة معانيه ؛ومن صور بركته ما وعد الله المشتغلين به تلاوةً وتدبراً وعملاً ، ففي الحديث " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ "(١)، وفي الحديث الآخر "يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق"(٢).

وفي حديث "... من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر"(٣).

(١) سنن الترمذي/ أبواب فضائل القرآن . باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ـ ١٧٥/٥ ـ ت : أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(٢) مسند أحمد ـ أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ـ ت:أحمد محمد شاكر ـ دار الحديث – القاهرة ـ ط: الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م، الترمذي فضائل القرآن – باب ما جاء في فضل القرآن ـ ١٧٧/٥ ـ ت: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر ـ ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، أبو داود ـ باب كيف يستحب الترتيل في القراءة ـ ت: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي نشر: دار الرسالة العالمية ـ ط: الأولى، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

(٣) سنن الترمذي _ باب ما جاء في فضل القرآن . ٥ /١٧٢

ومما يتعلق بذلك : أن الله اختص أهل القرآن – دون غيرهم من العالمين – بنسبتهم إليه وتكريمهم بجعلهم أهل الله وخاصته "...أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"[1].

وذاكم شرف لا يدانيه شرف ولا يطاوله مقام، فالبركة هنا بمعنى زيادة الخير ووفرة العطاء.

ومن صور بركة القرآن: أنه محفوظ لا تمتد إليه يد النسخ والعبث، كما حدث لغيره من الكتب (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر ٩، ففي البركة هنا معاني: الرفعة والثبوت والرسوخ.

ومن صور بركته – كذلك – مجيؤه مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...) المائدة ٤٨.

ومن صور بركته "عالميته"، فقد كانت الكتب قبله تنزل في أقوامها خاصة، ونزل القرآن لينذر أم القرى ومن حولها، فعمت رحمته وشملت بركته كل من بلغه هذا الوحي فاهتدى بهداه، وذلك قوله تعالى:

" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " الشورى٧

وقوله جل جلاله " وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ " الأنعام١٩

ومن صور بركته – كذلك – استيداع الله هذا القرآن أطهر قلب من خلقه، وهو قلب محمد ﷺ "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٤.

– ومن صور بركة القرآن دلالته على خيري الدنيا والآخرة، "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا " الإسراء ٩.

فلم يترك القرآن أمراً فيه سعادة المرء في الدارين إلا دله عليه.

---

١) مسند أحمد : مسند أنس بن مالك ـ٣٠٥/١٩

ومن صور بركته أن عطاءاته وفيوضاته ليست مقصورة على جيل دون جيل، بل للجميع من فتوحاته وبركاته نصيب كبير وحظ وافر، وهذا أحد معاني قوله" .... لا يخلق على كثرة الرد"(١).

تبقى فقط معرفة أن (بركة القرآن تتوافى عليك بمقدار صدقك في طلبها)(٢).

وهنيئاً لأمة القرآن تلكم البركات التي لم تكتف بوسم القرآن بها – وهو أحق بها – بل تعدت ذلك لتأتي وصفاً لمنزل القرآن جل جلاله (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)(٣).

– كما امتدت جنبات هذه البركات لتشمل من نزل بهذا القرآن:

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) الشعراء١٩٣. ١٩٤، (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) التكوير ١٩ – ٢١.

فتخصيص جبريل عليه السلام بالنزول بالقرآن على أطهر قلب – فضلاً عن وصفه بتلك الكمالات في الآيتين – فيه مزيد تشريف وكبير تعظيم لهذا القرآن، وهاكم صورة من صور بركات هذا القرآن وتتمدد البركة – كذلك– لتسع زمان نزول القرآن وتشمله وذلك عين قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة".

* ولم نعلم ليلة منعوتة بالبركة – في بيان الذكر الحكيم – غير ليلة نزول القرآن الكريم.

وقد كانت ليلة مباركة أصلاً ؛ لأنها ليلة القدر وهي خير من ألف شهر؛ ثم ازدانت وتضاعفت بركتها بكونها ميقاتاً لنزول القرآن الكريم، فالبركة هنا بمعنى زيادة الخير وتضعيفه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب فضائل القرآن . وفي إسناده مقال.

(٢) – آل حم: الشورى – الزخرف– الدخان – دراسة في أسرار البيان شيخنا العلامة أ.د محمد أبو موسى– وهبة – أولى –٢٠١٠ م– صـ٥٦٣.

(٣) – من شواهد هذه الدراسة صـ٤.

كما يدل على شرف هذه الليلة: التنكير المفيد للتعظيم في "ليلة"، ثم وصفها بالبركة "مباركة" الأمر الذي اشتاقت معه النفوس إليها.

ولو لم يكن في هذه الليلة إلا نزول القرآن المجيد لكفاها شرفاً تتيه به على الزمان كله. فنزول القرآن في هذه الليلة المباركة أمر ذو شأن عظيم عند الله تعالى بدليل قسمه تعالى عليه في مطلع سورة الدخان:

"حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ" فالدلالة على بركة ليلة نزول القرآن هو معقد المعنى وجواب القسم.

ونزوله في ليلة مباركة من أخص أوصاف القرآن وأعلاها ، فضلاً عن كونه تنزيل رب العالمين ، فهي ليلة ذات قدر نزل فيها كتاب ذو قدر على نبيّ ذي قدر بواسطة ملك ذي قدر. وتلكم بركات بعضها فوق بعض، فهي ليلة (افتتاح الوصلة)[1] أي: ليلة اتصال الأرض بالسماء عن طريق الوحي.

وتبرز بركة ليلة نزول القرآن من كونها مفرقاً لكل أمر حكيم على حد قول ربنا : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) والقرآن رأس كل أمر حكيم وعماده، فجاءت هذه الليلة وعاءً له .

ومن صور بركة هذه الليلة: أنها عند الله عظيمة الأجر كبيرة القدر" لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ" القدر٣.

وتبرز بركة الليلة من تجدد عطائها وتدق فيوضاتها في مثيلاتها من كل عام، ويدل على ذلك ويقوم به التعبير بالمضارع في قوله "تنزل الملائكة والروح فيها"، فهذه ضمانة إلهية باستمرارية بركاتها ونفحاتها لمن شمر واجتهد في طلبها.

كما بوركت هذه فصارت خيراً من ألف شهر لنزول الملائكة فيها يتقدمهم الروح الأمين جبريل عليه السلام بكل أمر مقدور[2].

---

(١) نظم الدرر ٦٣/٧.

(٢) باعتبار كون الباء سببية (التحرير والتنوير ٤٥٤/٣٠).

وفي نزول جبريل عليه السلام ليلة القدر من كل عام استدعاء واستحضار لصورة نزوله أول ليلة قدر، والتي نزل فيها القرآن على قلب الحبيب ﷺ. وأصل "تنزَّل" تتنزل، وأرى في هذا الإدغام إيماءً إلى يسر وسهولة كل ما في هذه الليلة من تنزل الملائكة ومن البركات .

وليس على العبد إلا أن ينشط فيها وينصب في التعرض لنفحاتها من: كثرة الإجابة وكثرة المغفرة وكثرة العطاء، والتي صارت بها تلكم الليلة خيراً من ألف شهر، فالبركة هنى بمعنى الزيادة والوفرة.

وصارت ليلة مباركة – أيضاً – لكونها سلاماً حتى مطلع الفجر .

وسميت الليلة المباركة هنا بليلة القدر في سورة سميت بها رفعاً لذكرها، وسميت هنا بليلة القدر لاعتبارات شتى :

سميت بليلة القدر بمعنى الشرف العالي والقدر السامي والتعظيم، من قولهم: فلان ذو قدر أي ذو شأن وشرف عظيم، والليلة بكل ذلك أجدر، فكفاها ميقاتاً لنزول القرآن.

وقد يكون القدر هنا بمعنى التقدير، ففي تلك الليلة تقدر أقدار الخلق. يؤكد ذلك قوله تعالى "فيها يفرق كل أمر حكيم" الدخان٤.

وقيل القدر هنا بمعنى: التضييق، على شاكلة قوله تعالى: "وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ" الطلاق٧؛ والتضييق هنا لكونها ليلة واحدة من شهر واحد في العام؛ وقيل التضييق لكون الأرض تضيق فيها عن الملائكة.

وأياً ما كان الأمر، فالملاحظ أن محور المعنى في سورة القدر يدور حول بيان شرف الليلة وقدرها ، وبيان طرف من بركتها؛ بينما في سورة الدخان ينعقد المعنى على وصفها بالبركة في المقام الأول.

وغير خافٍ أن تعدد الأسماء والأوصاف للشيء دليل على علو كعبه وسمو مكانته وكذلك هي "ليلة القدر، ليلة مباركة".

المبحث الرابــع

البركــة في الحديث عن السماء والأرض وما فيهما

مجيء البركة وصفاً لخيرات السماء والأرض

ومن شواهد ذلك في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" الأعراف٩٦.

وذهب الألوسي إلى أن المراد ببركات السماء والأرض(الأشياء التي تحمد عواقبها ويسعد في الدارين صاحبها)[1].

وقيل المراد ببركات السماء هنا: المطر، وببركات الأرض : النبات؛ وأرى أن المراد بالبركات هنا – والله أعلم – الخيرات من كل جهة من باب الكناية عن الشيء بذكر طرفيه.

ويلاحظ مجيء البركة هنا مجموعة ونكرة "بركات".

جاءت مجموعة مراعاةً لكثرتها وتنوع صورها وتعدد جهاتها ، فأفاد التعبير بالجمع هنا أنها بركات لا يحيط بها وصف، ولا تحددها عبارة ، فصور التعبيرُ البركات كأنها سيل نازل من كل مكان تفجرت به ينابيع كل جهة، وفي كل هذا من المبالغة ما فيه .

وأما مجيؤها نكرة فقد أضفى عليها معاني: العموم والشمول وكذا التعظيم لشأنها ، وأنها مما لا يحيط بها حصر أو عدّ.

– كما يُلاحظ هنا حذف الموصوف بالبركة ، فلم تجرِ الآية هنا على شاكلة ما سبق من الشواهد من ذكر الموصوف بالبركة مثل "وهذا ذكر مبارك"، "تبارك الله" ويمكن في غير القرآن القول : لفتحنا عليهم خيرات مباركة ، وقد أتاح حذف الموصوف بالبركة هنا تكثيف معنى "المبالغة" في تعظيم شأن هذه البركات وقُرئ " لفتّحنا عليهم " ـ بالتشديد ـ فأفيدت المبالغة من طريق ثالث

---

١ – روح المعاني ١٠/٩.

وهكذا تتآزر الأساليب لتنهض بخدمة غرض واحد ، والمبالغة هنا في غاية الانسجام مع البركة بمعنى: الزيادة والوفرة.

ويلاحظ في هذا الشاهد – كذلك – تعدية الفعل "فتحنا" ودخوله على "البركات" "لفتحنا عليهم بركات" بمعنى: أزلنا كل حاجز أمام وصول هذه البركات إليهم.

فأضاف ذلك التركيب معنىً جديداً للبركة وهو: تيسير الخير فيصير ذلولاً سهل التناول والانتفاع به، بعد زيادته ووفرته ؛ فالخير نفسه عطاء، وتيسير سبله وتذليله عطاء آخر والتيسير هنا أعان عليه التعبير بالفتح.

وفي البركة هنا معنى: الثبوت والرسوخ ، فلا يستطيع كائن أن يزيلها – فضلاً عن زحزحتها – ومعنى ثبوت البركة هنا ورسوخها مناسب غاية المناسبة، لمجيئه في مقابلة : التبديل للحال والتغيير للنعمة والأخذ بغتة في قوله تعالى: "ثم بدلنا ... حتى عفوا ... فأخذناهم بغتة".

فورود البركة ـ بمعنى الرسوخ والديمومة ـ بعد الحديث عن تبديل الحال وتغيير النعمة للآخرين تذكير آخر بقيمة هذه البركة تذكيراً يوجب تجديد الشكر لواهب البركة ومُسدي النعم جل جلاله وتكاثرت آلاؤه.

مجيء البركة وصفاً للأماكن والبلاد:

وقد تعدد ذلك في التنزيل العزيز وكثرت شواهده، ومثال ذلك قوله تعالى:

١–(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) الأعراف١٣٧.

٢–(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) الإسراء١.

٣– (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء٧١.

٤– (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) الأنبياء٨١.

٥- (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) سبأ ٨١.

وبعيداً عن المسجد الأقصى المبارك حوله، فقد تعددت آراء أهل العلم في تفسير المراد بالأرض والقرى المبارك فيها، وجلّهم على أن المراد بها: أرض الشام[١].

وتنوعت مناحي البركة وتعددت جهاتها في أرض الشام فأصبحت بها موسومة، فمن جهة الدنيا فلكونها : أكثر بلاد الله نعماً وثماراً ، وأطيبها أرضاً وأعذبها ماءً ، ومنها يتدفق إلى أنحاء الأرض[٢]، وأوفرها رزقاً.

ومن حيث بركة الدين والآخرة : فلكونها أرض المحشر والمنشر ، وبها نزول المسيح عليه السلام كما بها هلاك المسح الدجال ، وهي معدن الأنبياء ، فقد بعث أكثرهم منها ، وانتشرت شرائعهم من تلك الأرض المبارك فيها ، وهي أجلّ البركات وأنفعها (ومن لم يبعث من الأنبياء منها أسري به إليها)[٣].

ومن حيث رجالها ففي البركة بالعلم ، واستقامة طباعهم ، والبركة في عزائمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم بأنهم لا يبغيهم ظالم إلا عوجل بالنقمة[٤].

---

١ – ينظر الكشاف ١٤٠/٢ عند تفسير الآية ١٣٧ من الأعراف ، ١٢٨/٣ عند تفسير الآية ٧١ من الأنبياء ، ٥٨٦/٣ عند تفسير الآية ١٨ من سبأ، الرازي:١٥٧/٢٤، ١٧٤/٢٢، ٢١٨/٢٥ ،١٠٨/١٤، الطبري: ١٠٧٦/٥، ١٢٥/٨، ١٣٧/٨، ٩ /٥٣.

٢ – نقله الرازي والطبري والقرطبي عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب . ينظر: الرازي ١٧٥/٢٤ ،الطبري ١٢٥/٨ والقرطبي ١٠٩٠/٣

٣ – مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ـ ابن منظور الانصاري ـ ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ـ دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق . ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م ـ ١٧٢/١

٤ – نظم الدرر ٩٢/٣ عند تفسير آية ١٣٧ من الأعراف

ويلاحظ أن جميع الآيات المذكورة هنا في وصف الأماكن والبلاد بالبركة قد جاءت بصيغة الماضي المضاف إلى ضمير العظمة: "باركنا" تذكيراً بعلو شأن هذه البركة ، إذ المبارِك هو الله ـ عظمت قدرته ـ وبياناً لشأن المُبارَك فيه "الموصوف بالبركة" حيث تولى الله ـ جل جلاله، بما له من العظمة – البركة فيه.

ولاشك أن في هذا صرفا للأنظار وتنبيها إلى مكانة هذا المبارك فيه من: أرض الشام، المسجد الأقصى، ...

ولما تعددت صور البركة وازدحمت جهاتها – على نحو ما سبق بيانه – فقد أصبح التعبير بضمير العظمة

"نا" في حاقّ موضعه، مناسبةً لهذه الكثرة والوفرة من البركة .

مجيء البركة وصفاً لجنس الأرض

ومن شواهده في بيان التنزيل الحكيم قوله تعالى:

"وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ" فصلت ٩-١٠.

فالآية واردة هنا في مقام التذكير بنعم الله وتعديد آلائه ، رداً وإنكاراً على من جحد نعم الله وكفر بآياته ، لاسيما الظاهرة للعيان والتي لا يخطئها إلا بصر معلول، ومنها : خلقه تعالى الأرض في يومين، وجعل الرواسي فيها لئلا تميد بكم ، ثم البركة في هذه الأرض كافةً وتقدير أقواتها ....

والبركة هنا بمعنى الخير الكثير الواسع، وبركة الأرض أطال المفسرون النَفَس في بيانها والدلالة عليها بما يضيق عنه مقامنا هنا، ومن أجمل ما قيل فيها:

("بارك فيها " أي كثر خيرها ، بما خلق فيها من المنافع للعباد وجعلها دائمة الخير لأهلها... والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما يحيط به الشرح والبيان)[1].

وبالتأمل نجد وصف جنس الأرض بالبركة هنا قد جاء على صورة الفعل الماضي المسند إلى ضمير الغائب : (بارك) ، دون الإسناد إلى ضمير العظمة " باركنا " كما سبق من شواهد .

ولعل السر في ذلك هو موافقة الآية قبلها ، والتي بُني تركيبُها على الفعل الماضي المسند إلى ضمير الغائب دون ضمير العظمة : " خلق الأرض في يومين ... وجعل فيها رواسي ... وبارك فيها"

كما يُلاحظ تعدية فعل البركة هنا بالظرفية: "بارك فيها" دون غيرها نحو: "باركها" مثلاً ..

وذلك لكون التعدية بالظرفية هنا أدخل في المبالغة ، لكونها تفيد تغلغل البركة وتمكنها من أجزاء الشيء المبارك فيه تمكن الظرف من المظروف ، ففي التعدية بالظرف هنا :لطيفة المبالغة بالتكثير ، بخلاف التعدية بغيرها فيفوت بها معنى المبالغة المراد .

كما يلاحظ في تركيب الآية تقديم البركة على الأقوات: "وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها"، وهو تقديم يفيد شيوع البركة في الأرض كافة، وأقواتها جزء منها. بخلاف ما لو تأخرت البركة عن الأقوات، فلربما تَوهم السامعُ أن البركة ـ ساعتها ـ خاصة بأقوات الأرض فقط، باعتبارها أقرب ذكراً .

ويلاحظ أن العموم هو سمة بناء التركيب هنا ، ومن أمثلة ذلك:

* العموم المفاد من تقديم البركة على تقدير الأقوات .
* العموم المفاد من جميع الأقوات وإضافتها إلى ضمير الأرض "أقواتها".
* التعدية بالظرفية "بارك فيها" المفيدة للتغلغل والشمول والعموم

(١) انظر: روح المعاني ١٠٠/٢٤، فتح القدير ٥٠٨/٤، الطبري ٤٣٤/٢١.

*- والبركة في الآية واردة بمعنى زيادة الخير ووفرته ، فقد عمت البركة أنحاء الأرض وقُدرتْ أقواتُها بما لا يحيط بعلمه غير الله واهب النعم .

ومن معاني البركة هنا : الرسوخ والدوام، فلكل أهل الأرض - عبر مختلف القرون والأجيال - من بركاتها، ومما استودعها الله من الخير لكل هؤلاء منها نصيب محفوظ.

مجيء البركة وصفاً للمساجد:

وردت البركة وصفا للمساجد في الذكر الحكيم في موضعين، أحدهما قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) آل عمران ٩٦.

فالآية واردة في مقام التفسير والتعليل للأمر السابق في الآية قبلها، "فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً".

فبيان شأن البيت الحرام والتذكير بمنزلته فيه بيان فضل من بناه ومنزلته، وهو (إبراهيم عليه السلام) مما يحتم عليهم اتباع ملته.

والبركة في جانب بيت الله الحرام – زاده الله تعظيماً وتشريفاً – مما لا تحيط به العبارة ولا يحده الوصف.

ومن بركة بيت الله الحرام على سبيل الإجمال: ما يحصله المعتمر أو الحاج أو المعتكف به من فوائد وأجور نسأل الله ألا يحرمنا إياها.

وعلى سبيل التفصيل فمن بركة بيت الله الحرام:

أنه أول بيت يوصف بالبركة والهدى .

ومن بركته: ديمومة نعمة الأمن الراسخة فيه على كر الدهور" أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا " القصص٥٧ ، " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " قريش٤

ويتجاوز أمن الحرم قاصديه من البشر ليشمل الشجر والحجر والطير ، فلا تلتقط لقطته ولا يُهيّج طيره، ولا يقطع شجره.

ومن بركته أن حجارته – خاصة الأسود – رفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ثم شرفت بيد حبيب الحق وسيد الخلق محمد ﷺ، ولا يزال خيره يتدفق ليوم الناس هذا وحتى يقوم الناس لرب العالمين.

والبركة بمعنييها الرئيسين: (أ) الزيادة في الخير والنموّ (ب) الثبوت والدوام.

متحققة في وصف البيت الحرام بها من عدة جهات .

أولاً : من صور تحقق البركة بمعنى الزيادة في الخير ووفرته: أن ثواب الصلاة والطاعة في البيت الحرام تزيد عنها في غيره زيادة كاثرة، ولا أدلّ على هذا من قول الحبيب ﷺ (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة)[1] وقوله (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[2].

ومن بركته من هذه الجهة – كذلك – أنه يُجبى إليه ثمرات كل شيء، تلبية لرجاء الخليل (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ) البقرة ١٢٦.

ومن بركته نبع زمزم بين جنباته : طعام طعم وشفاء سقم وزمزم لما شرب له.

وأما البركة بمعنى الثبوت والدوام فمن صورها في جانب البيت الحرام :

١ـ بقاؤه على هذه الحالة من الأفضال والعطاءات على مر العصور وكر الدهور.

٢ـ عدم خلوه في ليل أو نهار من طائف ولا عاكف ولا راكع أو ساجد ، استجابة لدعوة الخليل عليه السلام.

١– صحيح مسلم ـ كتاب الحج . فضل الصلاة بمسجدي: مكة والمدينة . ١٠١٢/٢ ـ حديث١٣٩٤ ، فتح الباري ـ ابن حجر ـ فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ٦٧/٣ حديث ١١٩٠

٢ – صحيح مسلم ـ كتاب الحج . باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ـ ٩٨٤/٢ ـ حديث ١٣٥٠ ، مسند أحمد ـ مسند أبي هريرة .٣٨/١٢ حديث٧١٣٨

(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم٣٧.

٣ـ عدم انفكاك التوجه إلى البيت الحرام في الصلاة ، فلا تخلو بقعة في الأرض من قصد البيت في الصلاة: فهذا توجه قوم إليه في صبح؛ وذاكم إليه في ظهرٍ، وذلكم في عصر وهؤلاء في مغرب؛ وأولئك في عشاء.

وبتأمل تركيب الآية نلحظ الآتي:

*. مجيء وصف البيت الحرام بالبركة على صيغة اسم المفعول "مباركاً"، بينما مجيء وصفه بالهدى على هيئة المصدر "هدى" فلم كان هذا التغاير بين وصفي البيت الحرام ؟

*ويمكن القول جواباً على هذا : إن التعبير بالمصدر في وصف البيت الحرام بـ "هدى" للمبالغة ، لكونه أول بيت وضع للهدى وإعلان توحيد الله ، وقد آذن بذلك مجيء الكلام هنا تعليلاً للأمر في الآية السابقة "فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً".

فالتعبير بالمصدر في "هدى" صور البيت الحرام أنه مصدر الهدى ورمزه ومنبعه ، وإليه يتجه أهل التوحيد وطالبوا الهدى وهذا غير مقصود في وصفه بالمفعول "مبارك" فالمقصد – والله أعلم – التنويه ببركة البت الحرام ، لا الدلالة على كونه مصدر البركة ومنبعها ومرجعها بحيث لا تتوفر في غيره .

*ـ ولو عبر عن البركة بالمصدر فقيل "بركة" بدلاً من "مباركاً" هنا فلربما توهم السامع أن البيت الحرام لا تتجاوزه البركة إلى غيره .

فضلاً عما يقع من التنافر والنشاز والثقل الناشئ من تجاور المصدر "بركة" لكلمة "بكة" لو فعلنا.

ثم إن الآية نازلة ردّاً على اليهود الذين تاهوا على المسلمين، زاعمين أفضلية بيت المقدس وخيريته على المسجد الحرام[1]، ففي التعبير بالمصدر هنا تشنيع على اليهود بأن البيت الحرام هنا هو مصدر الهدى ورمزه وجوهره ، وإليه يأرز، وقد هُدِي إليه المسلمون وضل عنه اليهود – وهم به أولى – لكونه بناء إبراهيم الخليل وفيه مقامه، رغم تشدقهم بكونهم أتباع إبراهيم وعلى ملته.

ومن شواهد وصف المساجد بالبركة :

قوله تعالى: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " الإسراء١.

فالآية واردة في وصف المسجد الأقصى بما وصف به البيت الحرام من البركة.

وأول ما يلفت النظر في بناء التركيب هنا هو: مجيء صفة البركة في جملة الصلة " الذي باركنا " دون "المبارك ".. مثلاً ؛ولعل السر في ذلك هو قصد إشهار الموصوف " المسجد الأقصى" بصفة " البركة " في أذهان المخاطبين ، حتى صارت الصفة علماً عليه.

وغير خافٍ على متأمل شيوع غرض المبالغة على نظم الآية هنا

ومن طرائقها: مجيء البركة هنا بصيغة المفاعلة (باركنا) للمبالغة في زيادة البركة وكثرتها.

وصف ما حوله بالبركة مبالغة في وصفه هو بالبركة ، فالتعبير بالبركة عما حول المسجد الأقصى يقتضي عقلاً فيوض البركة وانتشارها وتجاوزها جنبات المسجد الأقصى إلى ما حوله ، وفي هذا من اللطف وتكثيف الظلال، والمبالغة في وصف بركة المسجد الأقصى ما ليس بغيره من مثل قولنا :" الذي باركناه " أو " باركنا فيه" .

---

١ – التحرير والتنوير ١١/٤

وتقدس وتبارك مَنْ هذا تنزيله !

ومن طرائق المبالغة في الآية: الالتفات من أسلوب الغيبة "سبحان الذي أسرى بعبده" إلى طريق التكلم "الذي باركنا حوله " ، وقد تكفل ضمير العظمة هنا بالمبالغة في تفخيم شأن البركة .

ففي ضمير العظمة دلالة على عظم ما أضيف إليه ،مما يقتضي تعظيم شأن هذا المسجد المبارك وشدّ الرحال إليه.

ولما كان معقد المعنى هنا هو التركيز على أمر هذه البركة وتعظيمها عبّر بهذه الصياغة ، دون غيرها مما يتوهم قيامها بالغرض نفسه من مثل: " المبارك حوله "

وصور البركة في المسجد الأقصى وما حوله كثيرة ، وقد ردها جُلّ المفسرين إلى أمرين(١): بركات الدنيا ، وبركات الدين

فمن بركات الدنيا: جريان الأنهار ووفرة الثمار والأشجار حوله والبركة لسكانه في أقواتهم ومعايشهم

ومن بركات الدين: كون المسجد الأقصى مهبط الوحي وقبلة غالب الأنبياء ومصلاهم صلوات الله عليهم ، وكون واضعه هو الخليل عليه السلام ، ودُفِن حوله كثيُر من أنبياء الله، ولا أعظم بركة من الإسراء بسيدنا محمد ﷺ إليه، وصلاته فيه بالأنبياء إماماً، فصار الأقصى من يومها للمسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها(لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)(٢).

---

١ – انظر : الكشاف ٦٠٦/٢ ، أبو السعود ١٥٥٥/٥ ، المحرر الوجيز ٤٣٦/٤ ، البيضاوي ٣٠٣/٣

٢ – متفق عليه (البخاري – كتاب الصلاة– باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، حديث ١١٨٩

ومن بركته : تفضيله على غيره من المساجد ـ عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي ـ وثواب الصلاة فيه تفضل الصلاة في غيره، إلا الحرمين الشريفين (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)[١].

بل ربما رجع قاصد المسجد الأقصى للصلاة من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (لما فرغ سليمان بن داوود ـ عليهما السلام ـ من بناء بيت المقدس سأل الله ﷻ ثلاثاً، أن يؤتيه حكماً يصادف حكمه وملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلّا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله ﷺ أما اثنتين فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة)[٢].

بل جاء الأمر الصريح الحاثّ على قصد المسجد الأقصى وإتيانه للصلاة فيه (ائتوا بيت المقدس فصلوا فيه . فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن حيل بيننا وبينه ؟ ولو أن ترسلوا زيتاً فتسرجوا فيه)[٣].

ومن بركة المسجد الأقصى الدينية أنه: مقام الطائفة المنصورة ومحلها، ففي الحديث (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم وهم كالإناء بين الأكلة ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " قلنا يا رسول الله وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس)[٤].

---

١ – شرح مشكل الآثار للطحاوي ـ ت: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ ط: أولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م ـ ٢٤٨/١ .

٢ – سنن ابن ماجه ـ ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ـ حديث ١٤٠٨ – ٤٥١/١.

٣ – مسند أحمد ـ حديث ميمونة بنت سعد ـ ٥٩٨/٤٥.

٤ – المعجم الكبير للطبراني ٣١٧/٢٠ حديث رقم ٧٥٤.

وبركات المسجد الأقصى تضيق بحصرها مثل هذه الأسطر، وقد أفردت لها مؤلفات يمكن لمستزيد الرجوع إليها[١].

واحتشدت المبالغة في الآية على وصف المسجد الأقصى بالبركة – على نحو لم نره في وصف البيت الحرام بالبركة – وذلك لأن شهرة البيت الحرام بالبركة قد طارت في الآفاق ، وعلمها العرب بخلاف الأقصى (فالعرب لا علم لهم به ، والنصارى عفوا أثره من كراهيتهم اليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه، وأيسوا من عوده إليهم فاحتيج إلى الإعلام ببركته)[٢].

فعلى قدر هذا الجهل بمنزلته والتجاهل لفضله من كل هؤلاء كان تكثيف المعنى، وزيادة المبالغة في بيان بركته وجلاء مكانته ، علّه يُوْرِثُ في نفوس ورثته، من المسلمين ـ تلبية النداء وشد الرحال إليه وقصده للصلاة فيه ، بعد تحريره مِنْ دنس مَن لم يعرف للمقدسات حرمة يوماً ، فعاثوا فيه فساداً ولما حوله تخريباً وإفساداً .

(وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)

البركة وصفاً للمطر:

وشاهده قول ربنا ﷻ:

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) ق٩.

جاءت البركة في الآية وصفاً للماء المنزّل من السماء، ووصف المطر هنا بالبركة لاعتبارين :

الاعتبار الأول من جهة مصدره ونزوله: فهو خير ورزق تولى الله جل جلاله تقديره، وهيأ أسبابه ويخرج ثماره رزقاً للعباد وغيرهم، ولا يقدر على ذلك إلا الله جلت قدرته، وقد أعان على ذلك التعبير بضمير العظمة في "ونزّلنا"، فالآية

١ – تحصيل الأنس لزائر القدس – ابن هشام الأنصاري ، تاريخ بيت المقدس لابن الجوزي، فضائل بيت المقدس محمد بن عبد الواحد المقدسي

٢ – التحرير والتنوير ١٩/١٥.

واردة في مقام التعديد والتذكير بنعم الله على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

لكل هذا لَطُف وحَسُن وصف المطر بالبركة، وربما لذلك فُضِّل الدعاء وقت نزول المطر لكونه حديث عهدٍ بربه، فقد روي عن أنس ﷺ قوله (أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه)[1].

(وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن السماء مُطِرَتْ فقال لغلامه : أخرج فراشي ورحلي يصبه المطر ، فقال أبو الجوزاء لابن عباس لم تفعل هذا يرحمك الله؟ قال: أما تقرأ كتاب الله "ونزلنا من السماء ماءً مباركاً" فأحبُ أن تصيب البركة فراشي ورحلي)[2].

الاعتبار الثاني لوصف المطر بالبركة هو: من حيث أثره ونفعه:

وقد كشفت خاتمة الآية هنا عن جزء من أثر المطر وبركته " فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ..."

فالمطر كثير المنافع عميم الفوائد ، كشفت خاتمة الآية هنا وما بعدها عن طرف منه "فأنبتنا به جنات وحب الحصيد"

وتكفلت آيات أخرى بالإبانة عن بعض هذه البركات للمطر، منها قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) الأنبياء٣٠.

---

١ – صحيح مسلم ـ باب الدعاء في الاستسقاء ـ ٦١٥/٢ ـ حديث ٨٩٨ ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢ – معرفة السنن والآثار – البيهقي ـ كتاب الاستسقاء ـ البروز للمطر ـ ١٠٤/٣ حديث ٧٢٣١ ، المجموع للنووي ـ مسائل تتعلق بباب الاستسقاء ٨٥/٥ الأم للشافعي ـ كراهية الاستمطار بالأنواء ٢٥٣/١

وإن كان المطر هو أحد وسائل الماء المذكور، غير أنه يبقى الأطهر والأنفع والأبرك والغوث، بدليل دعاء الاستسقاء " اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا "[1]، وبدليل قوله جل جلاله " وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ " الأنفال ١١.

ولما كانت للمطر هذه الفوائد المحيطة بمنافع الخلق، أوثر التعبير عن بركته بصيغة اسم المفعول "مباركاً" للاهتمام بشأن الموصوف بالبركة، بعد أن عبر بضمير العظمة تنويهاً وإعلاماً بقدرة منزل هذا المطر.

مجيء البركة وصفاً للمنزل:

(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) المؤمنون ٢٨-٢٩.

الآية آمرةُ شيخ المرسلين – نوحاً عليه السلام– بحمد الله على إنجائه له ومن معه في الفلك من القوم الظالمين ، وموجّهةُ له أن يسأل الله المنزل المبارك فهو تعالى خير المنزلين، ويلاحظ هنا وصف المنزل[2] – أيما كان المراد به – بالبركة.

ومعنى بركته: الجالب لما فيه خيري الدنيا والآخرة، وتبرز قيمة الدعاء ببركة المنزل هنا من: كونه بعد حادث الطوفان، الذي أتى على الأخضر واليابس ولم يُبقِ ولم يذر، فعرَّى الأرضَ من كل مقومات العيش عليها، مما احتيج معه إلى الدعاء بالبركة في المنزل ووفرة خيره وكثرة معايشه، فالبركة على هذا بمعنى: كثرة الخير ووفرة النعم، هذا من جهة.

---

(١) البخاري ـ أبواب الاستسقاء ـ باب الاستسقاء في خطبة الجمعة ـ ٢٨/٢ ـ حديث ١٠١٤ ، مسلم ـ صلاة الاستسقاء ـ باب الدعاء في الاستسقاء ٦١٢/٢ ـ حديث ٨٩٧

(٢) – قرئ "مُنزَلاً" بضم الميم وفتح الزاي على أنه مصدر بمعنى : إنزال وقري "مَنزِلاً" بفتح الميم وكسر الزاي على أنه اسم مكان انظر الكشاف ١٨٣/٣ ، أبو السعود ١٣٢/٦ ، الطبري ٢٨/١٩ ، فتح القدير ٤٨٢/٣

*- ومن جهة ثانية: فإن النجاة من القوم الظالمين ، واتخاذ كل سبب لذلك نعمة ، دلت عليها غير آية في التنزيل الحكيم :

– (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) يونس ٨٥–٨٦.

– وهنا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المؤمنون٢٨.

– وفي آخر السورة ذاتها (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المؤمنون٩٤.

بل قرَّعت الآيات من لم يتخذ سبيلاً للنجاة من الظالمين، وعدته ظالماً وتوعدته بسوء المصير:

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء٩٧.

ومن أبين الأدلة على أن النجاة من الظالمين نعمة تستوجب الحمد والشكر، الأمر به هنا " فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين".

وإذا كانت النجاة من الظالمين نعمة، فالنعمة الأكبر منها أن يمنح الله أولياءه أكتاف هؤلاء الظالمين، ويورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطؤها، فأي بركة أعظم من أن يحلك الله محل الظالمين ويقيمك مكانهم!

ولا أدلّ على منزلة هذه النعمة وبركتها من تضافر الكثير من الآيات والأحاديث الدالة عليها، ومن ذلك:

١. قوله تعالى(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) الأعراف١٣٧.
٢. (قالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) الأعراف١٢٩.
٣. (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص٥.

٤. (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) النور ٥٥.

٥. وعن جابر بن سمُرة وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)[١].

وهكذا تتوالى النعم ويتكاثر الخير: إهلاك للظالمين، إنجاء للأولياء ومنحهم ميراث الظالمين وتركتهم، وذلك لُبّ البركة، بمعنى زيادة الخير وكثرة العطاء والنفع بهما.

ووسط هذه النعم الكاثرة تبرز قيمة "بركة المنزل المسؤول"، ونعمة النعم أن يتفضل الله جل جلاله بهذا الإنزال دون غيره، (فإن الإنزال في الأمكنة قد يقع من غير الله كما يقع من الله تعالى، وإن كان هو سبحانه خير من أُنزل لأنه يحفظ من أنزله في سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بحسب ما يقتضيه الحكم والحكمة)[٢].

وأمره . عليه السلام . بسؤال الله المنزل المبارك بعد سؤاله النجاة من الظالمين لأدمغ دليل على كون "المنزل المبارك" هو الأنفع له والأكمل فائدة والأوفر خيراً، ويا سعد من رزق هذا المنزل المبارك!

وفيه بيان أن البركة هي أعظم ما يسأل العبد مولاه .

ومن أجلِّ النعم وأعلاها هنا هي: تعليم الله لنبيه نوح عليه السلام كيف يحمده، وكيف يشكره على إنجائه له ومن القوم الظالمين، وكيف يُعترف لله بآياته، ويُذكر دوماً خيرُه وفضلُه ، وتعليمه كذلك: كيف يسأل ربه ويستهديه ما هو آتٍ؟ وأعظم بكل هذه البركات!

١ – البخاري ـ المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام ـ حديث ٣٦١٨.

٢ – تفسير الرازي ٨٣/٢٣.

وقد يُلمح هنا معنى الدوام والرسوخ والثبات، فيكون المراد: سؤال الله "المنزل المبارك"، بمعنى المنزل الذي يثبت به ويدوم خيره ، ولا تتغير عليه فيه النعم كما غيرها الله على من سبق.

البركة وصفا للشجرة:

و قد جاءت البركة – كذلك – وصفاً للشجرة، وذلك في قوله تعالى:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) سورة النور ٣٥.

و تختلف صور البركة هنا تبعاً للموصوف بها، ذلك أنهم ذهبوا في تفسير المراد بالشجرة "الموصوف" في الآية غير مذهب:

* فمن قائل إنها شجرة الزيتون، و بركتها ـ حينئذ ـ من أكثر من ناحية:

فهي شجرة مباركة، من حيث كثرة خيرها و شيوع نفعها، فكل ما هو منها تحيطه المنفعة، فحَبُها إدام و زيتها كذلك إدام و وقود وعلاج، كما جاء في الحديث: (ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)[1].

و حطبها من أفضل الحطب – إن لم يكن أفضله – لتشبعه بالزيت و الدُهنٌ، حتى غاباتها من أفضل الغابات لجودة هوائها، و هي شجرة معمّرة، و على الجملة : فهي شجرة ذات نماء و وفرة و عطاء ، و ذلك عين البركة.

"هذا خلق الله" فتبارك و تقدس مَنْ هذا خلقه!

و هي – كذلك – شجرة مباركة ، ببركة منبتها وطيب أرضها، لأنها من الأرض المبارك فيها للعالمين "أرض الشام"، فهي شجرة نابتة في وسط المعمورة لا في شرقها و لا في غربها ، فالبركة أولاً من حيث فوائدها ونفعها، و البركة هنا من حيث منبتها وأرضها.

(١) الترمذي : الأطعمة – ما جاء في أكل الزيت حديث ١٨٥١– ج٣/٣٤٩ تحقيق بشار معروف – دار الغرب – بيروت ١٩٩٨هـ.

و قد تكون بركتها من حيث كونها (أول شجرة نبتت بعد الطوفان ، وقد بارك فيها سبعون نبياً منهم الخليل)[١].

و ذهب فريق آخر إلى أن الشجرة هنا ليست من شجر الدنيا، و لو كانت منه لكانت إما شرقية و إما غربية إنما هو مثل مضروب، و قد توسعوا في تفسير المراد بالمضروب مثلاُ هنا، فقيل: هو مثل مضروب لنور الله تعالى، و بركة نور الله تعالى لا تخفى إلّا على صاحب نظر عليل و قلبٍ سقيم.

فهو النور (الذي أشرقت به الظلمات في السماوات و الأرض، النور الذي لا نُدرك كنهه و لا مداه ، إنما هي محاولة لوصل القلوب به، و التطلع إلى رؤياه "يهدي الله لنوره من يشاء" .. ممن يفتحون قلوبهم للنور فتراه. فهو شائع في السماوات والأرض فائض في السماوات و الأرض دائم في السماوات و الأرض، لا ينقطع، و لا يُحتبس، ولا يخبو، فحيثما توجه إليه القلب رأه، وحيثما تطلع إليه الحائر هداه ، وحيثما اتصل به وجد الله)[٢].

و أكرم به و أعظم من نور!

وقيل بل المثل مضروب لنور القران[٣]، و بركته لا يحيطها وصف، و قد سبق تناول ذلك في مواضع من هذه الدراسة، و من أخص معاني البركة في القران هنا: أن نوره يستضاء به ويهتدي بهُداه، ويُفاد من توجيهاته وهو كما هو دون نقصٍ، وحاشاه أن يغريه النقص و هذا قريب الوشيجة من: "ولا يخلق على كثرة الرد".

و قيل: المثل مضروب للنبي ﷺ (فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، و المصباح النبوة، و الشجرة المباركة: شجرة النبوة)[٤].

---

(٢) تزعم القول بهذا الحُسن البصري رضي الله عنه – ابن كثير ٦٠/٦ ، المحرر الموجز ١٣/٥ الطبري ٤٠/٨.

(٣) في ظلال القران ٢٥١٩/٤.

(٣) الطبري ٤٨٠/٨.

(٤) روح المعاني ١٦٧/١٨.

والبركة في شجرة النبوة من حيث كونها أصل كل خير، ومنبع كل هُدى و طريق كل فلاح، وأكبر نعمة تفضل بها الله جل جلاله على خلقه بعد نعمة الخلق والإيجاد.

"وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " الإسراء ١٥، "فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ" البقرة ٢١٣.

و قيل: المثل مضروب للنبي ﷺ لكن المراد بالشجرة هنا هو : الخليل "إبراهيم عليه السلام" لكون نبينا "ﷺ" من نسله ، وجهة البركة في الخليل عليه السلام من حيث كون أغلب الأنبياء من صلبه و نسْله، و قد عرضنا لذلك في موضع من هذه الدراسة(١).

و المعنى على هذا أن محمداً ﷺ لم يكن يهودياً (لا شرقية) ولا نصرانياً (ولا غربية)، وإنما كان حنيفاً مسلماً لله رب العالمين على ملّة أبيه إبراهيم الخليل، وهو معنى لطيف رائق(٢).

و قيل بل المراد بالشجرة المباركة هنا: آدم عليه السلام– أبو البشرية– فقد بورك نسله و تفرعت منه شجرة الأنبياء و الرسل.

ولم ينته السياق عند وصف الشجرة بالبركة بل تعداه إلى الإبدال منها بقوله "زيتونة"؛ من باب التفصيل بعد الإبهام ،وفيه تفخيم لشأنها وتقرير للمعنى في الذهن. وأيمّا كان المراد بالشجرة فقد أحطت بالبركة بالمراد من كل جانب وغمرته، وتلك خصيصة يفيض بها البيان القرآني أعني: اكتناز العبارة ووفرة المعنى و خصوبته.

(١) عند تحليل قوله تعالى " رحمة الله و بركانه عليكم أهل البيت "هود.

(٢) ذكره روح المعاني١٨/١٧٠، ابن كثير ٣/٢٩١ و القرطبي ٤/١٨٦.

المبحث الخامس
البــركة وصـفا للتحية

وقد جاء ذلك في قوله تعالى :

(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) النور ٦١.

فقد جاءت البركة وصفا للتحية والسلام المأمور بإلقائهما عند الدخول على بيوتنا ، وقد وصفت التحية بالبركة طلباً لزيادة الخير ووفرة الرزق ، وهو مناسب جد المناسبة للإذن لهم بدخول هذه البيوت والأكل منها، فالتحية والسلام على أهل البيوت سابق – من حيث الترتيب المنطقي – على الأكل، فاقتضى ذلك المباشرة والمسارعة إلى إلقاء التحية بل التحية المباركة، المحفوفة بالتوسيع على أهل البيت في أقواتهم وأرزاقهم وجميع شئونهم لقاء ما يبذلونه للداخلين عليهم من كرم الوفادة .

وزيادة الخير ووفرة العطاء – الذي هو لُبّ البركة – لا يعود نفعه على أهل البيت "المدخول عليهم" فحسب ، بل هي بركة تشمل المسلِّم " الداخل " كذلك. ذلك أن الداخل "المُسَلِّم" حين يمتثل الأمر الإلهي بإلقاء السلام حين دخوله، فإنه بذلك يستمطر كثرة خير الله وجزيل عطائه ، وعظيم مثوبته، .. هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن المسلِّم حين يلتزم التحية المباركة . أعني تحية الإسلام – "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" فقد حاز بركة أجر هذه التحية ، ففي السلام فقط عشر حسنات ، وفي السلام والرحمة عشرون حسنة وفي تذييل السلام بالبركات ثلاثون درجة .

فعن عمران بن حصين أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال : السَّلامُ عليكُم، فردَّ النَّبيُّ ﷺ وقال عَشرُ حسَناتٍ، وجاء آخرُ فقال: السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، فردَّ

عليهِ وقال: عِشرونَ حسَنةً، ثمَّ جاء آخرُ فقال: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ثلاثونَ حسَنةً)[1].

وأما وصف التحية بالبركة من حيث المدخول عليهم "المسلَّم عليهم"، فالمراد بها: الدعاء لهم بزيادة الخير ومضاعفة الثواب، وفي ذلك كسب لقلوبهم واستجلاب لودّهم، لما في التحية من شيوع روح المسالمة وطيب المخالطة، وجميل المصافاة، زيادة على تأنيس المدخول عليهم وتأمينهم

وغير خافٍ أثر ذلك على تقوية الأواصر بين المسلِّم والمسلَّم عليه ، حتى عُدَّ سلام المرء على المدخول عليهم سلاماً على نفسه "فسلموا على أنفسكم" على حدّ قول أحدهم لأخيه: "يا أنا".

ثم يرتفع النظم بمباركة هذه التحية وتقويتها ، فيجعلها من "عند الله" ، فعلى المسلِّم أن يستشعر هذه الروح ، وأن يشم من تحيته هذا العبق العطر أنها من "عند الله"، وفي هذا من تحريضه وحثه على الالتزام بها الشيء الكثير.

وفوق ما سبق ـ فالبركة هنا فيها معنى الثبوت والدوام والرسوخ ـ لكونها "من عند الله" فهي أمره تعالى وهي موافقة لشرعه، فهي دائمة بدوام هذا الشرع ورسوخه في أعماق نفوس أتباعه.

بعد أن كانت التحية فيما سبق "عم صباحاً".

١ – الأدب المفرد . باب فضل السلام ـ حديث ٩٨٦ـ ١/٥٥٠ ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ـ ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

النتـائـج

الحمد لله على ما فتح به وأعان عليه ويسر، وأشهد أن لا إله إلا الله، عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، شهادة أرجو بها البركة فيما وهب وصلاح النية والذرية ثم حسن الختام والعرض عليه جل جلاله.

وبعد،،،

ففي ختام هذه الرحلة الميمونة في رحاب (البركة في البيان القرآني - مقامات ودلالات).

يطيب لي أن أضع بين يدي القارئ الكريم **أهم نتائج هذه الدراسة**:

١- كثر ورود مادة " البركة " باشتقاقاتها المتنوعة ، فبلغ اثنتين وثلاثين مرة في النظم القرآني.

٢- أكثر صيغ التعبير عن البركة في التنزيل الحكيم هي صيغة "المفاعلة" (تبارك)، فقد وردت تسع مرات، ولم يوصف بها إلا الله جل جلاله، تأكيدا على تفرده تعالى واختصاصه بالخيرات الواردة في سياق "تبارك" والمعنى: تزايد خيره على خلقه بما لا يملكه، ولا يقدر عليه غيره جل جلاله.

وترتيبا على ما سبق فمصدر البركة من الله، فما باركه الله "تبارك"، وما لم يباركه تعالى مُحقت بركته ؛ولا قيمة لأي خير إذا نُزعت بركته.

٣- البركة هي: ثبوت الخير الإلهي في كل شئ، وإذا أحل الله البركة في شئ لم يستطع كائن – من كان– أن ينزعها منه، لأنها تحلّ وتنتشر في كل أجزاء الشيء ودواخله، فهي بركة مستعصية على الزوال، ومن ذاق عرف.

٤- دارت البركة في البيان القرآني على معاني كثيرة، فجاءت بمعنى: الزيادة والنماء، وجاءت بمعنى: الثبات والدوام[١]؛ وجاءت البركة بمعنى: السعادة[٢]؛ كذا وردت مفيدة: التيمن بالشيء والتفاؤل به.

---

(١) من بروك البعير (إذا أناخ في مكان فلصق به صدره ولزمه).

(٢) هو قول لم أجده إلا للفراء في تفسير قوله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) هود.

ولم يخْفَ مجيئها بمعنى: التنزه والتعالي والتقديس، وهو معنى مقصور على الذات الإلهية.

٥- جاءت البركة بصيغة الماضي بتنوع صورها (بارك – باركنا) في المرتبة الثانية بعد صيغة المفاعلة ؛ مما يفيد دوام هذه البركة وامتدادها عبر تقلب الأزمان وتغاير الدهور والعصور؛ وفي هذه من البشارة ما فيه؛ لأنها تبعث في النفوس الطمأنينة أن الله جل جلاله كما بارك في المنعوت بالبركة ابتداء يباركه انتهاء.

٦- تعدد الوصف بالبركة؛ فجاءت وصفا للذات العلية ، وجاءت وصفا لأنبيائه ورسله؛ ولأهل بيوتهم وذرياتهم؛ كما جاءت البركة وصفا لخيرات السماء وبركات الأرض.

٧- كذا وردت وصفا لبعض الأماكن ، وفي جبين تلك الأماكن: الحرم المكي والمسجد الأقصى.

٨- جاءت البركة ـ في غير موضع ـ وصفا للقرآن الكريم ، ومن بركته: أن الله جل جلاله يبارك في عقل قارئه وحافظه والمشتغل به تدبرا وعملا، (ما رأيت شيئا يُغذي العقل والروح ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى)[١].

٩- لم تأت البركة إلا مجموعة (بركات)، وقد أفاد مجيئها –مجموعة– المبالغة والتكثير.

(١) مجموع الفتاوى . ابن تيمية ـ جمع وترتيب ـ عبد الرحمن النجدي الحنبلي ـ ط إدارة الم ساحة العسكرية ـ القاهرة . ١٤٠٤هـ ٧/٤٩٣.

فهرس الآيات القرآنية

أولا: الآيات شواهد البحث:

م	الآية	صفحة
١	إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ – الأعراف٥٤	٣٣٤
٢	(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) غافر ٦٤	٣٣٥
٣	(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان١	٣٣٣
٤	(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) الفرقان١٠	٣٣٦
٥	(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) الفرقان٦١	٣٣٩
٦	(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن٧٨	٣٤٠
٧	(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) هود٤٨	٣٤٣
٨	(قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) هود(٧٣)	٣٤٦
٩	(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) الصافات ١١٣	٣٤٨
١٠	(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) النمل ٨	٣٤٩

١١	(وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) مريم٣١	٣٥٢
١٢	(وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ مُصَـدِّقُ الَّـذِي بَـيْنَ يَدَيْـهِ) الأنعام٩٢	٣٥٥
١٣	(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الأنعام ١٥٥	٣٥٥
١٤	(وَهَـذَا ذِكْـرٌ مُبَـارَكٌ أَنْزَلْنَـاهُ أَفَـأَنْتُمْ لَـهُ مُنْكِـرُونَ) الأنبياء٥٠	٣٥٥
١٥	(كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِيَـدَّبَّرُوا آيَاتِـهِ وَلِيَتَـذَكَّرَ أُولُـو الْأَلْبَابِ) ص ٢٩	٣٥٥
١٦	(حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) الدخان ١-٢	٣٥٩
١٧	(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الأعراف٩٦	٣٦١
١٨	(وَأَوْرَثْنَـا الْقَـوْمَ الَّـذِينَ كَـانُوا يُسْتَضْـعَفُونَ مَشَـارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) الأعراف١٣٧	٣٦٢
١٩	(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) الإسراء١	٣٦٢
٢٠	(وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) الأنبياء٧١	٣٦٢
٢١	(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) الأنبياء٨١	٣٦٢
٢٢	(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) سبأ٨١	٣٦٣

٢٣	(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) فصلت ٩-١٠	٣٦٤
٢٤	(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) آل عمران ٩٦	٣٦٦
٢٥	(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) ق٩	٣٧٢
٢٦	(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) المؤمنون ٢٨-٢٩	٣٧٤
٢٧	(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) الأعراف١٣٧	٣٧٥
٢٨	(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) سورة النور ٣٥	٣٧٧
٢٩	(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) النور ٦١.	٣٨٠

ثانيا: شواهد ثانوية

م	الآية	صفحة
١	"زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون" النحل	٣٣١
٢	(ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) الأحزاب	٣٣١
٣	" ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" غافر ٦٢	٣٣٥
٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران١٦٤	٣٣٨
٥	(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) الأعراف ١٣٧	٣٥١
٦	(يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) النمل١٠	٣٥١
٧	(يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) القصص٣١	٣٥١
٨	(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه ١٧-١٨)	٣٥٢
٩	(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) القمر ١٧	٣٥٥
١٠	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر ٩	٣٥٥
١١	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...) المائدة ٤٨	٣٥٧
١٢	(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) الشورى٧	٣٥٧
١٣	وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) الأنعام١٩	٣٥٧
١٤	(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء١٩٣ ـ ١٩٤	٣٥٧
١٥	(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء ٩	٣٥٧
١٦	(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) التكوير ١٩ –٢١	٣٥٨
١٧	(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) القصص٥٧	٣٦٦

١٨	(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش٤	٣٦٦
١٩	(وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) البقرة ١٢٦	٣٦٧
٢٠	(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) إبراهيم٣٧	٣٦٨
٢١	(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) الأنبياء٣٠	٣٧٣
٢٢	(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) الأنفال١١	٣٧٤
٢٣	(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) يونس٨٥-٨٦	٣٧٥
٢٤	(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المؤمنون٢٨	٣٧٥
٢٥	(رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المؤمنون٩٤	٣٧٥
٢٦	(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء٩٧	٣٧٥
٢٧	(قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) الأعراف١٢٩	٣٧٥
٢٨	(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص٥	٣٧٦
٢٩	(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) النور٥٥	٣٧٩
٣٠	(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) الإسراء ١٥	٣٧٩
٣١	(فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) البقرة ٢١٣	٣٧٩

فهرس الأحاديث النبـويـة

١	(اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)	٣٢٦
٢	(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا وفِي يَمَنِنَا)	٣٢٦
٣	مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ	٣٢٦
٤	(من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه)	٣٤٠
٥	(أَلِظّوا بيا ذا الجلال والإكرام)	٣٤١
٦	(من قرأ حرفا من كتاب الله)	٣٥٦
٧	(يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق)	٣٥٦
٨	(...من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر)	٣٥٦
٩	(... لا يخلق على كثرة الرد)	٣٥٨
١٠	صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة)	٣٦٧
١١	(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)	٣٦٧
١٢	(لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)	٣٧٠
١٣	(فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)	٣٧١
١٤	" لما فرغ سليمان بن داوود عليهما السلام من بناء بيت المقدس سأل الله ﷻ ثلاثاً أن يؤتيه حكماً يصادف حكمه وملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلّا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله ﷺ أما اثنتين فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة)	٣٧١

١٥	(ائتوا بيت المقدس فصلوا فيه . فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن حيل بيننا وبينه ؟ ولو أن ترسلوا زيتاً فتسرجوا فيه)	٣٧١
١٦	(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم وهم كالإناء بين الأكلة ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك " قلنا يا رسول الله وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس)	٣٧١
١٧	أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه)	٣٧٣
١٨	" اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا	٣٧٤
	(إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)	٣٧٦
١٩	(ائتدموا بالزيت و ادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)	٣٧٧
٢٠	أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: السَّلامُ عليكُم، فردَّ النَّبيُّ ﷺ وقال: عَشرُ حسَناتٍ، وجاء آخرُ فقال:السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ ، فردَّ عليهِ وقال: عِشرونَ حسَنةً، ثمَّ جاء آخرُ فقال: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فقال النَّبيُّ ﷺ: ثلاثونَ حسَنةً).	٣٨٠

قائمة المصادر والمراجع

١	الأغاني ـ الأصفهاني ـ ت: سمير جابر ـ : دار الفكر – بيروت . ط: الثانية
٢	آل حم :الشورى – الزخرف – الدخان – دراسة في أسرار البيان شيخنا العلامة أ.د محمد أبو موسى– وهبة – أولى –٢٠١٠ م–
٣	الأم للشافعي ـ دار المعرفة – بيروت ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
٤	تاج العروس ـ مجموعة من المحققين ـ : دار الهداية
٥	تاريخ بيت المقدس لابن الجوزي ـ ت: محمد زينهم محمد عزب ـ مكتبة الثقافة الدينية
٦	تحصيل الأنس لزائر القدس – ابن هشام الأنصاري ـ ت : عيسى القدومي – خالد النواصرة – بدر بن عبد الله البدر ـ نشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية ـ ٢٠١٠ م ـ ١٤٣١ هـ
٧	تفسير ابن كثير ت: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية– بيروت
٨	تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) دار إحياء التراث العربي – بيروت
٩	تفسير البيضاوى ـ دار الفكر– بيروت
١٠	تفسير التحرير والتنوير ـ الطاهر بن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م
١١	تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢	تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ت: أحمد محمد شاكر ـ مؤسسة الرسالة ـ ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
١٣	تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ت : هشام سمير البخاري ـ دار عالم الكتب ، الرياض ـ السعودية . ط ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م
١٤	تفسير الكشاف ـ الزمخشرى ـ دار الكتاب العربي . بيروت ـ ١٤٠٧ هـ
١٥	تفسير المحرر الوجيز ـ ابن عطية الأندلسي ـ ت: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ـ ط أولى.
١٦	تفسير روح المعاني ـ الألوسي ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٧	تفسير فتح القدير الشوكاني ـ دار الفكر – بيروت
١٨	تفسير في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار النشر : دار الشروق . القاهرة
١٩	تفسير نظم الدرر ـ البقاعي ــ ت: عبد الرزاق غالب المهدي ــ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥ ــ١٩٩٥ م
٢٠	سنن ابن ماجة ــ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي
٢١	سنن الترمذي ـ ت : أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ـ نشر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
٢٢	سنن الترمذي تحقيق بشار معروف – دار الغرب – بيروت ١٩٩٨ هـ
٢٣	سنن النسائي ــ ت: عبد الفتاح أبو غدة ــ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ـ ط: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦
٢٤	شرح النووي على مسلم النووي ــ دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ ط الثانية، ١٣٩٢
٢٥	عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ السمين الحلبي ـ تحقيق: محمد باسل عيون السود ـ دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م
٢٦	الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – مؤسسة النشر الإسلامي
٢٧	فضائل بيت المقدس محمد بن عبد الواحد المقدسي ـ ت :محمد مطيع الحافظ ـ دار الفكر– سورية ـ ط الأولى، ١٤٠٥
٢٨	لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر – بيروت ـ ط : الثالثة – ١٤١٤ هـ
٢٩	مجموع الفتاوى . ابن تيمية ـ جمع وترتيب ـ عبد الرحمن النجدي الحنبلي ـ ط إدارة المساحة العسكرية ـ القاهرة . ١٤٠٤هـ
٣٠	المجموع للنووي ـ نشر: دار الفكر
٣١	مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ــ ابن منظور الانصاري ـ ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع ـ دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق . ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م .